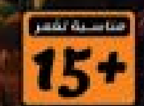


الموسوعة العقائديّة للناشئة ١

طريق العقل إلى الإيمان

موسوعة علميّة تقدّم للشباب الأدلّة الواضحة على وجود الله تعالى وتردّ شبهات الملحدين





طريق العقل إلى الإيمان

موسوعة علميّة تقدّم للشباب الأدلّة الواضحة على وجود الله تعالى وتردّ شبهات الملحدين

تأليف:
حيدر محمد الكعبي





الإشراف
محمّد العلوي

تأليف
حيدر محمّد الكعبي

الإخراج الفنّي
ذو الفقار الحلو

التدقيق اللّغوي
محمّد باقر جميل

الطبعة الأولى
2024 م



المقدّمة

الشباب في المجتمع الإسلاميّ صاروا يواجهون اليوم مجموعة من الإشكاليّات الفكريّة التي تؤدّي إلى زعزعة إيمانهم بثوابت العقيدة الإسلاميّة، مثل إثبات وجود الله تعالى، ولم تعد الإجابات البسيطة تكفيهم لحلّ مثل هذه الإشكاليّات؛ لأنّ تقنيّات الاتّصال الحديثة مستمرّة في ضخّ المعلومات المضلّلة التي تشتّت انتباههم عن الحقيقة.

وذلك يستدعي منّا أن نقدّم لشبابنا المسلم موسوعة تُسهم في تقديم إجابات عقائديّة متقدّمة بطريقة شائقة وسهلة، تُبرهن أحقّيّة عقيدتهم وتساعدهم على الإجابة عن كلّ الإشكاليّات المطروحة في هذا المجال.

كما تمثّل هذه الموسوعة وسيلة ممتازة تساعد الآباء والمعلّمين على إيصال الأفكار العقائديّة بطريقة علميّة مؤثّرة في نفوس الأجيال الجديدة.

ومن الله تعالى نلتمس السداد والهداية.

مركز المحسن لثقافة الأطفال

كيفَ تقرأُ هذا الكتاب؟

إقرأْ هذا الكتاب بالطريـقةِ العاديّة، لأنهُ مُعدّ لبناءِ الأفكارِ بالتدريـج. ويمكنك -إذا كنت تريد اختصار الوقت- أن تبحث عن الأسئلة التي تهمّك وتقرأ عنها مباشرة، وستجدُ في معـظم الصفحات إحالةً إلى صفحاتٍ أخرى لها ارتباطٌ بالموضوعِ نفسه، مشار إليها بالمثلّث كما هو مبيّنٌ في المثال التالي:



فهرست الموضوعات

الفصل الأول (العقل)

الفصل الثاني (وجود الله)

الفصل الثالث (شبهات الملحدين)

الفصل الأول:

العقل

- ما هو العقل؟
- كيف يعمل العقل؟
- ما القواعد البديهيّة العقليّة؟
- كيف تثبت القواعد البديهيّة وجود الله؟
- هل يعرف المُلحد كيف يعمل عقله؟
- لماذا تمسّك الغرب بالحسّ والتجربة فقط؟
- هل العقل ميزان دقيق؟

ما هو العقل؟

ما الذي يتميّز به الإنسان عن الحيوان؟
إنّه بالتأكيد يتميّز **بالعقل**، وهو الوسيلة التي جعلت الإنسان قادرًا على ابتكار كلّ الاختـراعات الحديثة.

بالعقل تمكّن الإنسان من الوصول إلى الفضاء، إلى حيث لا يتمكّن أيُّ كائن حيٍّ آخر من الوصول.

بالعقل تـمكّن الإنـسـان مـن الطـيران في الهـواء أبـعـد مـن الصـقور، والسـير على الأرض أسـرع من الفـهـود، والسبـاحة في أعـماق البحار أفـضل من الأسماك.





بالعقل اكـتـشف الإنـسـان كثـيرًا من الحقائق قـبـل أن يـتـمكّن من إثـباتها بـحـواسّـه

انظر الصفحة ١٥ أيضًا



عقل الإنسان يحيّر كبار العلماء حتّى اليوم بسبب تركيبته العجيبة ووظائفه المبدعة



بالعقل أثبت العلماء أنّ الأرض كرويّة قبل مئات السنين من صناعة مركبات فضائيّة تجعل البـشر يرون بأعيـنهـم كرويّة الأرض، كما أثـبت العلماء أنّ المادّة تتكوّن من أجزاء صغيرة تُـسمّـى الـذرات قـبل مـئات السنين مـن اكتشاف المـجهر الإلكترونيّ الذي جعل الإنسان يشاهد هـذه الذرّات بعـينيه.



يقوم عقل الإنسان بجمع (المعلومات) المتفرّقة والتأليف بينها بعلاقات خاصّة للوصول إلى نتيجة جديدة تُسمّى (المعرفة)





لنضرب مثالًا تتّضح به حقيقة (العقل) و(المعلومات) و(المعرفة):

افترض أنّ لديك آلة حاسبة تستخدمها لجمع الأرقام، عليك أولًا أن تُدخل الأرقام المطلوبة في الحاسبة، ثمّ تطلب منها أن تقوم بعمليّة الجمع، وعندها سوف تؤدّي الآلة الحاسبة ذلك بسرعة ثمّ تُعطيك النتيجة الصحيحة لعمليّة الجمع.

فالآلة الحاسبة تمثّل (العقل) والأرقام تمثّل (المعلومات) والنتيجة الصحيحة تمثّل (المعرفة).

ولكي يعمل العقل بشكل صحيح لا بدّ من أن يحتوي برنامج تشغيل قبل ذلك، تمامًا مثل الحاسوب، فالحاسوب لن يعمل إذا لم يحتوِ برنامج (ويندوز Windows) والهاتف المحمول لن يعمل إذا لم يحتوِ برنامج (أندرويد Android) مثلًا.

ولكن ما هو برنامج تشغيل العقل؟

الجواب: إنّها مجموعة القواعد البديهيّة العقليّة.

ما القواعد البديهيّة العقليّة؟

قلنا: إنّ برنامج التشغيل الموجود في عقل الإنسان هو مجموعة **القواعــد البديــهيّة العقــليّة.**

إنّ هذه القواعد هي الأساس الذي يبني عليه الإنسان كلّ أفكاره، وهي واضحة جدًّا فلا حاجة إلى الاستدلال على صحّتها، ومن أهمّ هذه القواعد ما يأتي:

إنّ مجموعة **القواعد البديــهيّة العقليّة** تمثّل البرنامج الــذي يشغّل العــقل ويجعله يُنتج كلّ المعارف الصحيحة، وبغير هذه **القـواعد البديهيّة العقليّة** لن يتمكّــن العــقل من إنــتاج أيّ مـعـرفـة، وهي حالة تــوجد لـدى الأشخاص المجانيــن أو المُتخلّفين عقلــيًّا، إذ تكون **القـواعد البديـهيّة العقليّة** مفقودة أو ناقصة في عقولهم.

القاعدة الأولى: النقيضان لا يجتمعان

فمثلًا إمّا أنْ تكون جائعًا أو شبعان، ولا يمكن أن يجتمع الجوع والشبع معًا في وقت واحد، كما أنّ الشيء إمّا أنْ يكون موجودًا أو غير موجود في الوقت نفسه، فإذا جاءك شخص إلى المنزل وسأل عن والدك مثلًا فلا يمكن أنْ تقول له: إنّ والدي موجود وغير موجود في المنزل.

القاعـدة الثانـية: لـكلّ حـادث سـبب يُحدثه

فاذا رأيت حجرًا طائـرًا في الهواء فــسوف تعرف بديــهـــيًّا أنّ هناك سبــبًا جعلَه يطــيـر حتّى لو لم تر ذلك الســبب، وحتّى الطفل الصغير إذا سمع صوتًا مفاجئًا تراه يلتفت لرؤية مصدره، لأنَّ عقله مبرمج على بديـهيّــة أنّ هـناك سببًا لحدوث هذا الصوت.



القاعدة الرابعة: تسلسل الأسباب بشكل لا نهائيّ باطل

انظر الصفحة ١٦ أيضًا

فإذا رأيت روبوتًا صنع سيّارة، والروبـــوت صــنعه روبوت ثانٍ، والروبوت الثاني صنعه روبوت ثالث، فلا بدّ من أن تــقف سلســلة الروبــوتات هذه عند حدّ معيّن، فيكون صانع الروبوت الأوّل إنــسانًا مثلًا، وليس من الصحيح أن تــقول: إنّ ســلسلة الروبوتات الصانعة والمصنوعة تمتدّ إلى ما لا نــهاية.

القاعدة الثالثة: حكم الأشياء المتماثلة واحد*

وذلك يُتيح لنا تعمـــيم النتــائج على كلِّ الأشياء المتشابهة، فاذا أخــذنا ١٠٠ قطعة مــن الحــديد، ووجدنا أنّ جمــيعها يصدأ بالرطوبة، فمن حقّنا أنْ نُعمّم هذه النتيجة على كلّ الحــــديد الموجود في الكون، فنقول: إن كلّ حديد يصدأ بالرطوبة دائمًا.



*يعبّر عن هذه القاعدة بقولنا (حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد).



القاعدة الخامسة: الدَّور باطل

الدَّور يعني أن يكون السبب هو النتيجة وبالعكس، فمثـلًا: لـيس من الصحيـح أن تكون الدجاجة الـتي باضـت بيضـةً قد وُلدت من البيضة نفسهـا.

كيف تثبت القواعد العقليّة وجود اللّه؟

عندما يستكشف الإنسان هذا الكون بوساطة حواسّه يجد أنّه يتألّف من سلسلة معقّدة من الأحداث ومسبّباتها، فالمطر حادث والغيوم هي سببه، والغيوم نفسها حادثة ومياه البحار هي سببها، ومياه البحار حادثة وسببها التكوّن الجيولوجيّ للأرض، والتكوّن الجيولوجيّ للأرض حادث وسببه الانفجار الكونيّ العظيم، وهكذا حتّى نصل إلى مسبّب الأسباب الذي لا يحتاج إلى سبب وهو الله تعالى.



انظر الصفحة ٦٢ أيضا

هذه المقدّمة تقوم على القاعدة العقليّة الثانية (لكلّ حادث سبب يُحدثه) وهي التي تجعلنا دائما نتتبّع سلسلة الأسباب للوصول إلى المسبّب الأوّل الذي لا سبب له، وهو الله تعالى.

سؤال: لماذا لا نقول: إن الأسباب والحوادث تستمرّ إلى ما لا نهاية من دون أن نقف عند وجود الله تعالى الذي لا يحتاج إلى مسبّب؟

الجواب: لأنّ القاعدة العقليّة الرابعة (التسلسل اللا نهائيّ باطل) تمنعنا من ذلك.





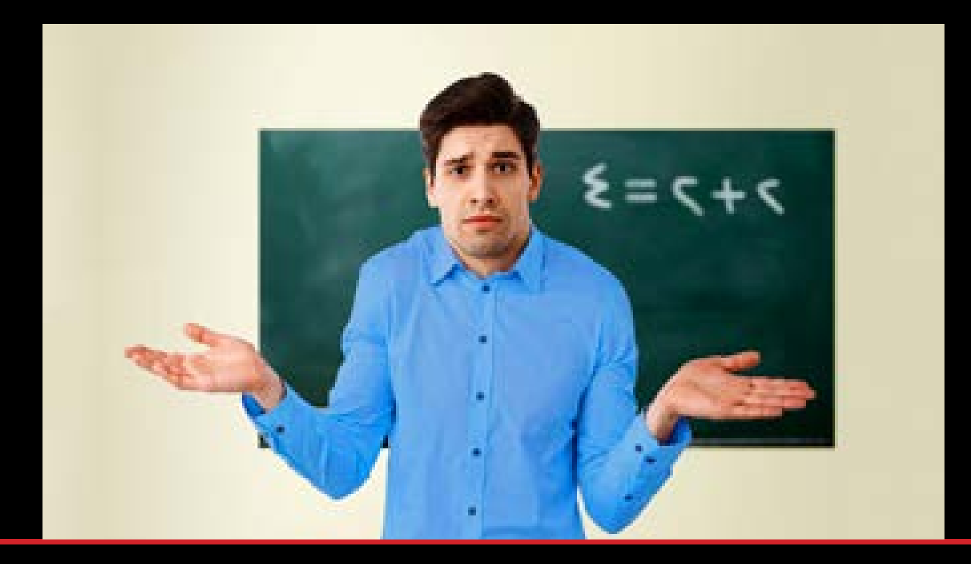
سؤال: لماذا لا نعدّ الوجود الكونيّ هذا نظامًا مغلقًا (نسقًا قائمًا بذاته)، بمعنى أنّ الأحداث فيه هي الأسباب، والأسباب هي الأحداث، بحيث لا يحتاج هذا الكون إلى قوّة خارجيّة لتحريكها وإيجادها؟

الجواب: إنّ القاعدة العقليّة البديهيّة الخامسة (الدور باطل) هي التي تؤكّد أنّ السبب لا يمكن أن يكون نتيجة وبالعكس.

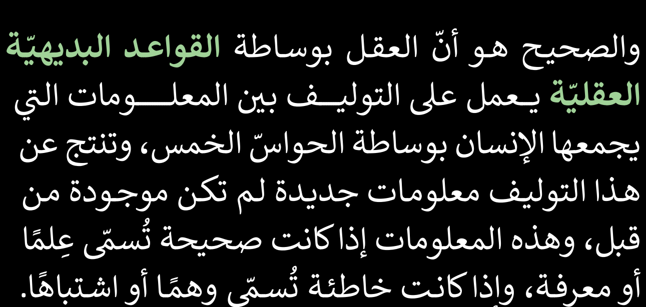
هناك جماعة من الناس الذين يُطلق عليهم مصطلح (لا أدريّين) بمعنى أنّهم لا يؤمنون بوجود الله وفي الوقت نفسه لا يُنكرون وجودَه، وذلك لأنّ هذه الجماعة تعتقد بأنّ المعرفة نسبيّة، فلا يمكن إثبات أنّ الشيء صحيح بنسبة ١٠٠٪ أو خطأ بنسبة ١٠٠٪.

إن المنهج الفكريّ لجماعة اللاأدريّين باطل طبعًا، لأنّه خلاف القاعدة الأولى من القواعد البديهيّة العقليّة التي نصّها (النقيضان لا يجتمعان أبدًا) إذ كيف يمكن اتّباع منهج يجمع بين نقيضي الموضوع في وقت واحد؟

إن منهج اللاأدريّين يشبه القول بأنّ معادلة (٢+٢=٤) لا يمكن التأكّد من صحّتها تمامًا، فعلينا أن نؤمن باحتماليّة صحّتها وعدم صحّتها في الوقت ذاته، أليس هذا كلامًا غريبًا فعلًا؟!



هل يعرف المُلحد كيف يعمل عقله؟



المؤمن بالله يقول: العقل هو الذي يُثبت لنا وجود الله تعالى..
والمُلحد يقول: العقل هو الذي يثبت لنا عدم وجود الله..

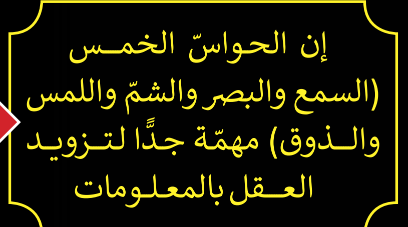
فمن الذي يقول الحقيقة يا ترى؟

إنّ المُلحد يدّعي إمكانيّة إنــكار وجود الله بالعـقل لأنّه لم يفهم كـيف يعمل العقل بـشكل صحيح. إذ يعتقد المُلحد أنّ المعرفة الحقيقيّة هي المـعرفة الحسّيّة فقط، أي التي يمكن أن يحسّ بـها الإنسان بوساطة حواسّه الخمس؛ ولذلك يقول إنّ التجربة التي تُجرى في المختبر مثلًا هي السبب الوحيد لإنتاج المعرفة.

والصحيح هو أنّ العقل بوساطة **القواعد البديهيّة العقليّة** يـعمل على التوليـف بين المعلـومات التي يجمعها الإنسان بوساطة الحواسّ الخمس، وتنتج عن هذا التوليف معلومات جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهذه المعلومات إذا كانت صحيحة تُسمّى عِلمًا أو معرفة، وإذا كانت خاطئة تُسمّى وهمًا أو اشتباهًا.

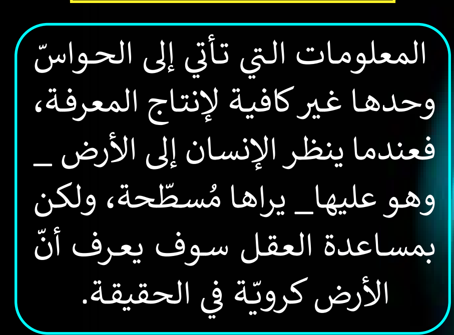






انظر الصفحة ١٠ أيضًا

إن الحواسّ الخمس (السمع والبصر والشمّ واللمس والـذوق) مهمّة جدًّا لـتزويد العـقل بالمعلومات



المعلومات التي تأتي إلى الحواسّ وحدها غير كافية لإنتاج المعرفة، فعندما ينظر الإنسان إلى الأرض ـ وهو عليها ـ يراها مُسطّحة، ولكن بمساعدة العقل سوف يعرف أنّ الأرض كرويّة في الحقيقة.





يقول المُلحد: ما يمكن الإحساس به وتجريبه في المختبر تنتج عنه معرفة علميّة حقيقيّة، وما لا يمكن الإحساس به وتجريبه هو مجرّد وهم واشتباه، ولأنّ الله تعالى لا يمكن الإحساس به أو تجربته في المختبر، فمعرفته مجرّد وهم وليست معرفة حقيقيّة.

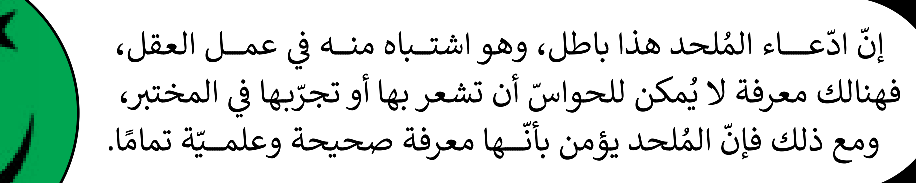




حين يُجرّب المُلحد تسخين مقدار معيّن من الماء بالنار، ويُلاحظ أنّ الماء يغلي عندما يبلغ درجة حرارة ١٠٠، ثمّ يكرّر التجربة على عدد آخر من المياه ليصل إلى النتيجة نفسها، سيصل إلى نتيجة علميّة تقول: (كلّ ماء يغلي إذا سُخِّنَ بالنار إلى درجة ١٠٠)

إنّ قولنا بأنّ غليان الماء بسبب النار هو قول يستند إلى القاعدة الثانية من القواعد البديهيّة العقليّة، وهي قاعدة عقليّة خالصة لا علاقة لها بالحواسّ





ولكن كيف سمح المُلحد لنفسه بتعميم هذه النتيجة على كلّ مياه العالم؟ هل جرب غلي كلّ مياه المحيطات والبحار والأنهار وأدرك بحواسّه وبالتجربة غليانها بالنار لكي يطلق هذا التعميم؟ سيكون جوابه طبعًا: لا، وأنّ استنتاجه العلميّ قائم من دون الاعتماد على الحسّ والتجربة على كلّ مياه العالم*

في تجربة غليان الماء بالنار يعمل العقل على الربط بين غليان الماء وبين النار كسبب للغليان، اعتمادًا على البديهيّة العقليّة الثانية، ثم يعمّم هذه النتيجة على جميع المياه في العالم اعتمادًا على البديهيّة العقليّة الثالثة، وكلا البديهيّتين من القواعد العقليّة التي يؤمن بها الجميع، مع أنّه لا يمكن للحواسّ الخمس أن تُدركها ولم يتمّ تجريبها في المختبر، إذ يؤمن المُلحدون بصحّتها ويعتمدون عليها في اكتشافاتهم كلّها.

*يتوصّل الإنسان إلى هذه النتيجة بالاعتماد على القاعدة الثالثة من القواعد البديهيّة للعقل وهي (حكم الأشياء المتماثلة واحد).

بذلك يعترف المُلحد من حيث لا يشعر أنّ العقل قادر على الوصول إلى نتيجة علميّة دقيقة من دون الاعتماد على الحواسّ أو على التجربة فقط.

انظر الصفحة ٦٥ أيضًا

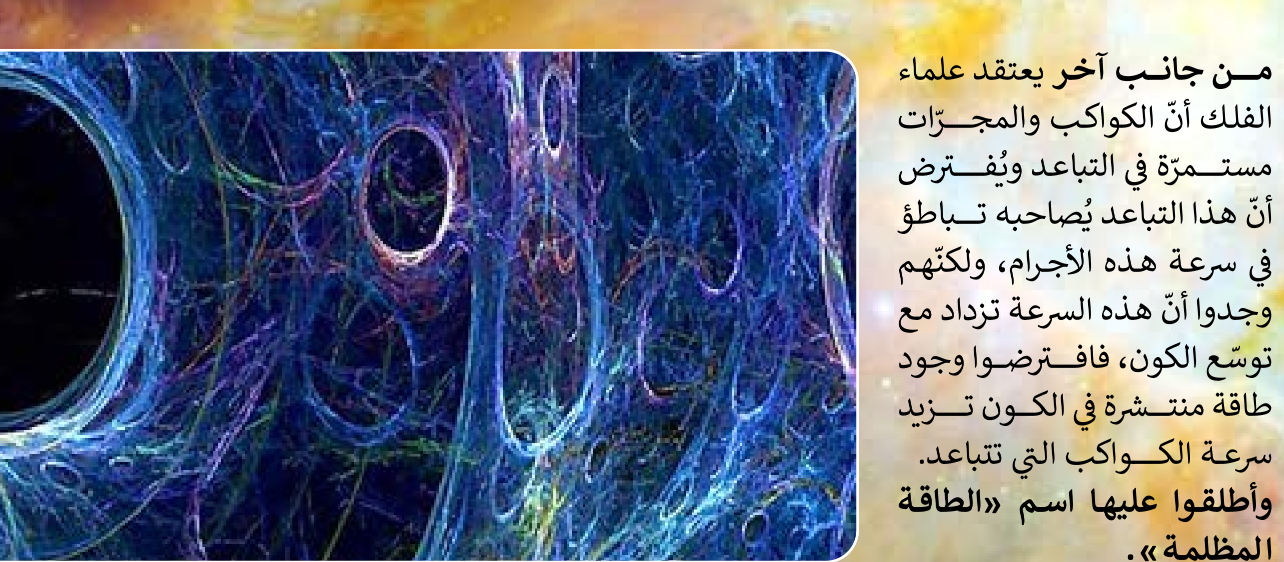


إنّ النقاش العلميّ عن المادّة المظلمة والطاقة المظلمة من أكثر النقاشات التي تحطّم فكرة الاعتماد على الحواسّ في إثبات الأشياء

بحسب قوانين الجاذبيّة المتعارفة في الفيزياء، يرى علماء الفلك أنّ الكواكب المتباعدة ينبغي أن تُبطئ من سرعتها، ولكن وجد العلماء عبر الأرصاد الفلكيّة المتطوّرة أنّ الكواكب المتباعدة ما تزال تحافظ على سرعة ثابتة ولم تُبطئ، وذلك ما دفع العلماء إلى الاعتقاد بأنّ السبب في ذلك هو وجود مادّة غير مرئيّة تقوم بجذب تلك الكواكب باستمرار بحيث تحافظ على سرعتها ثابتة، وقد أطلقوا على هذه المادّة غير المرئيّة اسم «المادّة المُظلمة».

أشارَ القرآن الكريم إلى حقيقة تباعد أجرام السماء بقوله: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

وقد ساعدتْ أجهزة متطوّرة مثل تلسكوب هابل على اكتشاف تمدّد الكون بشكل مُتسارع، كما ساعد على اكتشاف أنّ الأجرام المتباعدة مستمرّة في حركتها بسرعة ثابتة.



يعتقد العلماء أنّ نسبة المادّة المظلمة تبلغ ٩٦٪ من الكون
أمّا المادّة المعروفة التي نراها فتشكّل ٤٪ فقط من الكون

من جانب آخر يعتقد علماء الفلك أنّ الكواكب والمجرّات مستمرّة في التباعد ويُفترض أنّ هذا التباعد يُصاحبه تباطؤ في سرعة هذه الأجرام، ولكنّهم وجدوا أنّ هذه السرعة تزداد مع توسّع الكون، فافترضوا وجود طاقة منتشرة في الكون تزيد سرعة الكواكب التي تتباعد. **وأطلقوا عليها اسم «الطاقة المظلمة».**

ماذا يعني هذا؟

لا يعني اسم (المادّة المظلمة) و (الطاقة المظلمة) أنّ لونهما أسود أو أنّهما مظلمتان فعلًا، بل سُمّيتا كذلك لأنّ العلماء لا يعرفون عن طبيعتهما أيّ شيء، ويعتقدون بوجودهما بسبب الآثار التي تسببانها فقط.

هذا يعني أنّ الإنسان يُمكن أن يعتقد بوجود شيء ما، من دون أن يتعرّف عليه بحواسّه مباشرة أو أن يُجرّبه في المختبر، وهذا يعني أيضًا أنّ العلماء التجريبيّين يُمارسون التفكير العقليّ الخالص في إثبات وجود الأشياء، أي يعتقدون بوجود أشياء لا تستطيع الحواسّ أن تدركها بذاتها، بل تُدرك آثارها فقط.

فلماذا لا يعتقدون بوجود الله تعالى الذي لا يمكن أن نُشاهده بذاته، وإنما نشاهد آثاره الظاهرة في مخلوقاته؟

انظر الصفحة ١٥ أيضًا

لماذا تمسّك الغرب بالحسّ والتجربة فقط؟

كانت أوربا في العصور المظلمة يحكمها الملوك الأغنياء المستبدّون، الذين جعلوا غالبيّة الشعب تعاني من الجهل والمرض والفقر، وكان رجال الدين في الكنيسة الأوربيّة يساعدون على بقاء هذا الوضع لإرضاء الملوك والتقرّب منهم، فكان الرُّهبان يبرّرون الفقر والأمراض التي تصيب الشعب بأنّها بلاء من الرَّبِّ لا الحكّام الفاسدين.

والأهمّ من ذلك أنَّ الكنيسة كانت تمنع تطوير العلم والمعرفة ودراسة الظواهر الطبيعيّة في الكون، وتدّعي أنَّ ذلك يُضعف الإيمان، وكانوا في الحقيقة يخشَون من أنْ تؤدّي الاكتشافات العلميّة إلى كشف التزييف الموجود في كتابهم المقدّس **(العهد القديم والعهد الجديد)**؛ لذلك حكمت الكنيسة بإحراق كتُب العالِم الفلكيّ (كوبرنيكوس) الذي اكتشف أنّ الأرض تدور حول الشمس، كما اتّهمت الكنيسة العالِم (غاليلو غاليلي) بالكُفر عندما أيَّدَ اكتشاف (كوبرنيكوس).

محاكمة الكنيسة لغاليلو

تمثال كوبرنيكوس

كما أنَّ قصّة خلق آدم وحوّاء المذكورة في الكتاب المقدّس لدى اليهود والمسيحيّين هي قصّة محرّفة تتضمّن فكرة خطيرة، إذ يدّعون أنَّ الرَّبَّ كان يمنع آدم من الأكل من شجرة المعرفة، وكذب عليه قائلًا: إنَّك إذا أكلتَ منها ستموت، أمّا الشيطان فقد نصح آدم بأن يأكل منها لكي يعرف الخير والشرَّ، فعندما أكل آدم من الشجرة تبيَّن أنَّ الرَّبَّ -حاشاه- قد كذب، وأنَّ الشيطان كان صادقًا في نصيحته، وبذلك يُشير الكتاب المقدَّس في قصّتهِ الخُرافية هذه إلى أنَّ الإنسان إذا سعى إلى المعرفة سوف يُنازع الرَّبَّ بقوَّة العِلم.

هذه الأفكار الخطيرة والأوضاع البائسة التي كان يعيشها المجتمع الأوربيّ أدّتْ أخيرًا إلى انقلاب الناس على التيّار الدينيّ للكنيسة في القرن الثامن عشر، وقد ظهر مفكّرون مشهورون مثل (عمانويل كانت) و(جون لوك) يدعون إلى الاعتماد على العقل والبحث عن المعرفة والتخلّي عن الخرافات الدينيّة، وبذلك بدأ عصر جديد في أوربا، أُطلق عليه اسم عصر التنوير.

تميّز عصر التنوير بأنَّهُ كان ردّة فعل على التجهيل المتعمَّد الذي كانت تتبعه الكنيسة، وإبعاد الناس عن البحث في حقائق الكون والحصول على المعارف، وكانت ردّة الفعل هذه عنيفة إلى درجة الاهتمام بالعلوم الحسيّة والتجريبيَّة فقط، وبذلك نعرف أنّ السبب الأساس الذي جعل الغرب يتمسّك بالعلوم الحسّيَّة والتجريبيّة هو الدين المسيحيّ المحرّف الذي كان يمنع الناس من هذه العلوم.

جون لوك وعمانويل كانت

أمّا الإسلام، فإنَّه يدعو دائمًا إلى العلم والمعرفة، ولا يرى أيَّ تناقض بين العلم والإيمان؛ لذلك نقرأ كثيرًا من آيات الله تعالى التي تقول: لَعَلَّهُم يَعقِلُونَ - لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرون - لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ - أفلا يُبصِرونَ، كما أنَّ قصَّة آدم في القرآن كانت تدور حول تفضيل آدمَ على الملائكة بالعِلم والمعرفة، فقال تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)).

هل العقل ميزان دقيق؟

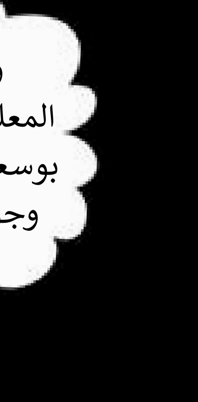
ربّما تتساءل: ما مدى دقّة العلوم التي يمكن أن يُنتجها العقل؟

إنّ العقل السليم -في الحقيقة- إذا زُوِّدَ بمعلومات سليمة فإنَّه قادر على أن يُنتج منها معرفة دقيقة وصحيحة، والدليل: أنَّ البشر بعقولهم تمكّنوا من اختراع كثير من الأشياء التي جعلت حياتهم أسهل وأجمل، بل تمكّنوا من تحقيق أشياء شبيهة بالخيال، فقد تمكّن الإنسان من استخراج الطاقة النوويّة الهائلة من الذرّات الصغيرة، وأن يرصد المجرّات التي تبعد عنه مئات السنين الضوئيّة.



سؤال: إذا كان العقل دقيقًا في اكتشاف الحقيقة، فهل يتمكّن من أن يكتشف حقيقة الله تعالى؟

الجواب: لا، لا يُمكن للعقل أن يقوم بذلك؛ لأنَّ ذلك أكبر من قدرته، ولا يعني ذلك نقصًا في دقّة العقل، فالعقل في هذه المسألة شبيه بميزان الذهب. إنَّ ميزان الذهب دقيق جدًّا في حساب الأوزان، ولكن ذلك لا يعني أن نزِنَ به أكياس الطحين الثقيلة، فذلك سيُتلفُه مباشرة؛ لذا نقول إنَّ العقل ميزان دقيق ولكنّه رقيق لا يتحمّل أشياء فوق طاقته.



انظر الصفحة ٧٢ أيضًا



الفصل الثاني:
وجود اللّه
ما أدلّة العقل لإثبات وجود الله؟
دليل النظام
الدليل الفلسفيّ
ما الفلسفة وكيف انتشرت؟

ما أدلّة العقل لإثبات وجود الله؟



هنالك طريقان يُمكن للعقل أن يُثبت بهما وجود الله سبحانه هما:

دليل النظام والدليل الفلسفيّ

أولًا

دليل النظم أو النظام

وهو دليل سهل وواضح يتمكّن فيه عقل الإنسان من إثبات وجود الله تعالى، ويسمّى بدليل النظم أو النظام، فعندما ننظر إلى هذا الكون وما فيه من نظام دقيق جدًّا سرعان ما نتساءل: ما الذي أوجد هذا النظام الدقيق الذي يحفظ هذا الكون من الفوضى؟ بالتأكيد ليس الإنسان هو مَن أوجده، إذن.. لا بدَّ من وجود قوّة عُليا قادرة على إيجاد هذا النظام وهي قوّة الله تعالى، وسوف نستعرض نماذج من هذا النظام:

أ- النظام في جسم الإنسان

عندما ينظر الإنسان إلى جسمه يجده مُكوَّناً من ترليونات الخلايا المُختلفة، ومئات الأجهزة المتخصّصة، وعشرات الأعضاء الدقيقة، ترى ما الذي ينظّم العمل بينها بهذا الشكل الدقيق العجيب؟



انظر الصفحة ٥٨ أيضًا

إنَّ موضوع النظام الدقيق لإفراز الغُدد في جسم الإنسان هو مثال واحد من مليارات الأمثلة على العمل المنظّم لأجهزة جسم الإنسان، مثل الجهاز العصبيّ والجهاز الهضميّ والجهاز البوليّ والجهاز التنفّسيّ وجهاز الدوران والهيكل العظميّ والعضلات والجلد... إلخ

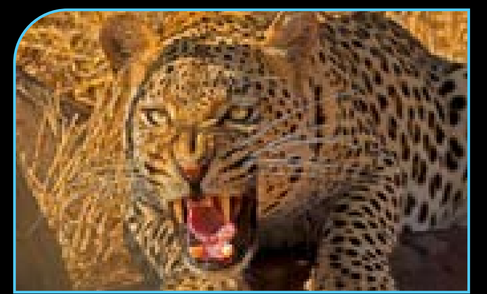
لكي نعرف أهميّة النظام الدقيق بين أعضاء جسم الإنسان يكفي أن نعرف أنَّ غُدّة واحدة فقط (الغدّة الدرقيّة) حين تُفرز هرمونها أكثر من المطلوب تسبّب مشاكل صحيّة خطيرة للإنسان، مثل نقص الوزن الشديد وزيادة نبضات القلب وعدم انتظامها، والشعور بالعصبيّة والتعب والرعشة في اليدين والتعرّق الزائد واضطراب حركة الأمعاء وتورّم العنق وضعف العضلات وصعوبة النَّوم ورقّة الجلد وتساقط الشعر.

فكيف إذا عرفنا أنَّه توجد في الإنسان أكثر من ١٢ غدّة داخليَّة فضلًا عن ملايين الغُدد الخارجيَّة مثل الغُدد اللعابيَّة وغُدد العرق وغُدد الأثداء والغُدد الدُّهنيّة والدَّمعيّة، وجميع هذه الغُدد يجب أن تعمل بدقّة متناهية في إفراز أنواع مختلفة ومهمَّة جدًّا من الموادّ الكيميائيّة لكي يبقى الإنسان على قيد الحياة وينعم بجسم صحّيّ ونشيط.

بل هنالك أكثر من ذلك على المستوى الخلويّ، فكلُّ خليّة من جسم الإنسان يجب أن تحتوي عددًا ثابتًا من الكروموسومات (الصبغيّات) يبلغ ٢٣ زوجًا بالتحديد، فإذا زاد هذا العدد أو نقص يؤدّي إلى موت الإنسان أو إصابته بتشوّهات خطيرة، فمثلًا إذا زاد عدد الكروموسوم ذي الرقم ٢١ إلى ثلاثة بدلًا من زوجين فسيؤدي إلى الإصابة بمتلازمة داون التي تجعل الإنسان متخلّفًا عقليًّا ومشوّهًا جسديًّا.

ب- النظام في عالم الحيوان

انظر عزيـزي القارئ إلى كلّ الحيَوانات الموجودة على الأرض بجميع تنوّعاتها، كيف تـعـيش بشكل ممتاز في بيئتها، فلدى كلّ واحد من أصناف الحيوانات أنظمة متكاملة ودقيـقـة من التغذية والتنفّس والإفراغ والتــوالد، تجـعـلها مستمرّةً في الحياة بنجاح.



انظر إلى الحيَوانات المفترسة، كيف هي مجـهّزة بكلّ الأدوات التي تُـفـيد منها في عملـيّة الصَّيد، من أسنان كبيرة وحادّة ومخالب وهيكل عظميّ وعضـليّ قويّ يجعلُها تركض بسرعة كبيـرة لاصطياد الفرائس وتمزيق لحمها.





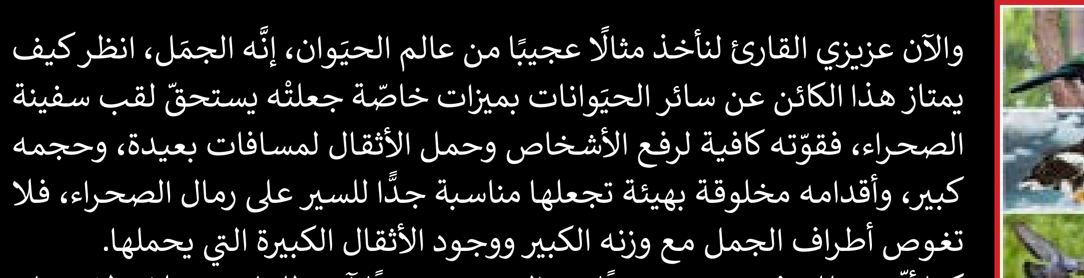
لاحظ امتلاك الحيوانات التي تعيش في الماء كلَّ الأعضاء اللازمة التي تجعلها تعـيش بكفاءة في البحار والأنهار، على الرغم من أنّها تناظر الحيوانات التي تعيش على اليابسة في احتياجها الغذاءَ والهواء والإفراغ والتوالد، ولكنَّ أعضاءها تخـتـلف تمام الاختلاف عن حيوانات اليابسة، بل يختلف بعـضها عن بـعض في أعضـائه داخل البـيـئة المائيّة ذاتها، فمنها ما يُصنَّف ضـمـن القشريّات مثل سرطان البحر، ومنها ما يُـسمّى بالرخـويّات مثل قنديل البحر، ومنها الفـقـريّات مثل الأسماك والحيـتـــان.

انظر الصفحة ٦٠ أيضًا



وانظر إلى عالَم الطيور، إنَّه عالَم غريب فعلًا، كيف صُمِّمَت أجسام الطيور تصميمًا دقيقًا بهيكلها العظميّ والعضليّ الذي يُمكّنُها من الطيران في الهواء، بل إنَّ أعضاءها الداخـلـيّة مصمّمة بدقَّة لكي تساعــدها على ذلك، فمثلًا يمتلك الحمام في جهازه التنفسيّ حويصلات هوائيّة مرتبطة بالرئتين، تجعلها قادرة على تنفّس الأوكسـجين عند الشهيق والزفـير معًا خلافًا للحيَوانات الأُخرى، لأنَّ توفّر الأوكسجين باستمرار في دم الطيور ضروريّ لتـوفـيـر طاقة كبيرة تساعدها على الاستمرار في الطيران.

من الطيور أصناف غريبة لا تطير، وأجسامها مُصمَّمة بدقّة لتلائم طبيعة معيشتها مثل البطريق



والآن عزيزي القارئ لنأخذ مثالًا عجيبًا من عالم الحيَوان، إنَّه الجمَل، انظر كيف يمتاز هذا الكائن عن سائر الحيَوانات بميزات خاصّة جعلتْه يستحقّ لقب سفينة الصحراء، فقوّته كافية لرفع الأشخاص وحمل الأثقال لمسافات بعيدة، وحجمه كبير، وأقدامه مخلوقة بهيئة تجعلها مناسبة جدًّا للسير على رمال الصحراء، فلا تغوص أطراف الجمل مع وزنه الكبير ووجود الأثقال الكبيرة التي يحملها.

كما أنّه يمتلك في جسده مخزنًا من الشحم ومخزنًا آخر للماء، يجعلانه لا يحتاج إلى الطعام والشراب أيّامًا عديدة، وهذا ما يلائم بيئة الصحراء التي لا يتوفّر فيها الغذاء والماء بسهولة.

أما فم الجمل فهو مهيَّأ تمامًا للتغذّي على نباتات الصحراء القاسية، كما أنّ عينيه مزوّدتان بجفون عريضة ورموش طويلة تحميهما من الأتربة والعواصف الرمليّة التي تمرّ بالصحراء.

هذا الخلق العجيب والدقيق للجمل جعل القرآن الكريم يُلفت أنظارنا إليه إذ قال: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ). ولو قارنّا الجمل بحيَوان آخر يعيش في بيئة نقيضة للصحراء، وهو الفقمة التي تعيش في البيئة المائيّة الباردة، فانظر كيف تملك شحمًا يُحيط بجسمها كلّه ليقيها من البرد، وقدماها عـلى شكل زعنفة تساعـدها على السباحة.





ت ـ النظام في عالم النبات

عالَم النبات عالَــــم واسع جدًّا، وغريب في الوقت ذاته، فهنالك نباتـــات مفترسة تتغذّى على الحشرات، وهـــنالك نبـــاتات عجيبة في شـــكلها، تُـــشـــبه إلى حدٍّ كبير بعض الحيـــوانات أو أجزاء من جسم الإنـــسان، يدلّ هذا على أنّ الــذي خلق كلّ هذه الكائنات المـــختلفة واحدٌ، علمـــًا أنّ كلّ هذه الأشكال تؤدّي وظائف دقيقة للنباتات وليست زينة فـــقط، ومن دونها لا تـــتـــمكّن هذه النباتـــات من الاستمرار في الحياة.



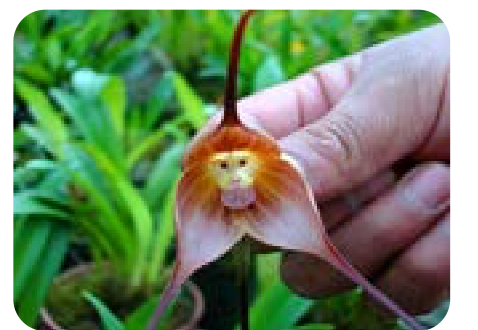
إنّ النـــبات يُـكمـــل دورة الحـياة على الأرض بشـكل دقـيـق ومنـظّـم جدًّا، فهو يُـفـيـد من ضوء الشمس والهواء ويقوم بامتــصـــاص ثانـــي أوكـسـيد الكاربون ويطرح الأوكسجين في عمليّة التمـثيل الضوئـيّ، والأوكسجين هو الـغاز الأساسي الـذي تعتمد عليه الحيَوانات في التنفّس للبقاء حيّة.

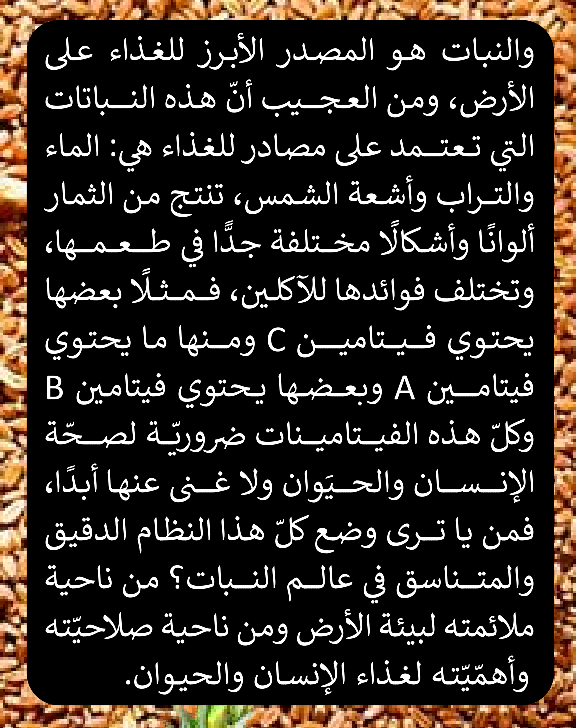












والنبات هو المصدر الأبرز للغذاء على الأرض، ومن العجـيـب أنّ هذه النـــباتات التي تـعـتـمد على مصادر للغذاء هي: الماء والتـراب وأشعة الشمس، تنتج من الثمار ألوانًا وأشكالًا مـختلفة جدًّا في طـعـمـها، وتختلف فوائدها للآكلين، فـمـثـلًا بعضها يحتوي فـيـتامـيـن C ومـنها ما يحتوي فيتامـيـن A وبعضـها يحتوي فيتامين B وكلّ هذه الفـيـتامـيـنات ضروريّة لصـحّة الإنـســان والحـيَوان ولا غـنى عنها أبدًا، فمن يا تـرى وضع كلّ هذا النظام الدقيق والمتـنـاسق في عالـم النـبات؟ من ناحية ملائمته لبيئة الأرض ومن ناحية صلاحيّته وأهمّيّته لغذاء الإنسان والحيوان.



ث ـ النظام في عالم الحشرات

وسائل دفاع



فراشة الثعبان، وهي من أكبر الفراشات، شكل جناحيها مثل الثعابين، تخيف أيّ مخلوق يفكّر في الاقتراب منها.



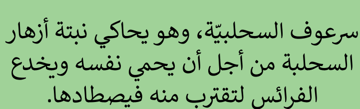
حشرات الوجه البشريّ، تبدو كأنّها وجوه بشر تجعل الكائنات الأخرى تخاف الاقتراب منها.

تخفٍّ واختباء

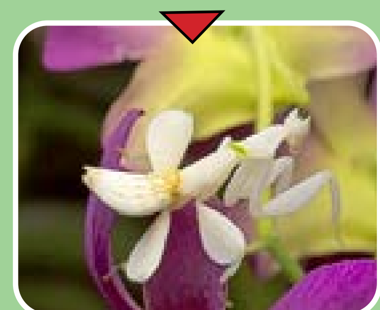
هل تعرف هذه الكائنات؟ إنّها ليست كما تتصوّر، فهي حشرات ضمن أصناف نعرفها جيّدًا من الحشرات، ولكن لديها وسيلة دفاعيّة مميّزة تجعلها تختفي في بيئتها أو تجعلها مخيفة للحيوانات الأُخرى لكي لا تقترب منها.

فمن الذي صمّم لهذه الحشرات هذه الوسيلة الدفاعيّة المبتكرة؟

إنّ خلق هذه الأشكال بهذه الطريقة الذكيّة لا يمكن إلّا أن يصدر عن قوّة عليا عاقلة ومنظّمة تعرف كيف ترسم المخلوقات بألوان وأشكال رائعة تؤدّي وظيفتها بكلّ دقّة.



سرعوف السحلبيّة، وهو يحاكي نبتة أزهار السحلبة من أجل أن يحمي نفسه ويخدع الفراشات لتقترب منه فيصطادها.



العثّ المُفلفل يتغيّر شكله ليتماشى بشكل مثاليّ عند الاسترخاء مع الأشجار ذات الألوان الفاتحة والحزازيّات.

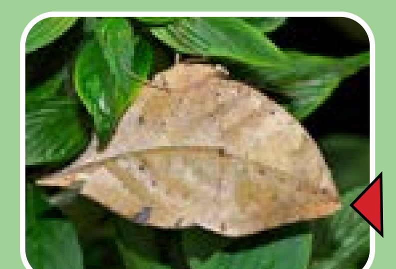




سرعوف الورقة الميتة، يتّخذ جسمه شكل الأوراق الميتة ويندمج في بيئته تمامًا.



البقّ ذو الشوكة، وهو يشبه الأشواك التي على الأغصان.



فراشة الورقة الميتة، باطن جناحيها مثل الورقة الميتة، وعندما تريد أن تُخفي نفسها فهي ببساطة تُغلق جناحيها وتقف ساكنة.

الحشرة الورقيّة، شكلها يُشبه أوراق الأشجار تمامًا، لذا من الصعب جدًا تمييزها إذا دخلت بين أوراق الشجر.



حشرة بقّ الحشّاشين، تحمل على ظهرها أجسام الحشرات الميتة لتُخفي نفسها، فمن يا ترى علّمها هذه الطريقة المبتكرة للاختباء؟





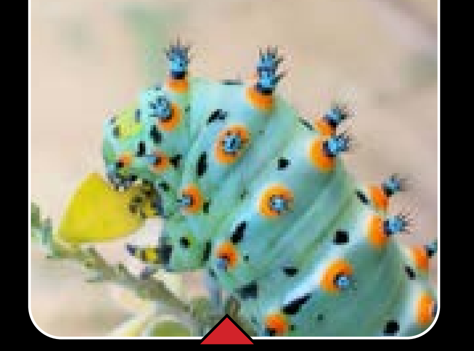
الجندب الورقيّ، ليس شكل الورقة فقط ما يجعله بارعًا في التمويه، بل ألوانه الدقيقة التي تجعله مخفيًّا تمامًا فوق الورق.

جمال وإبداع

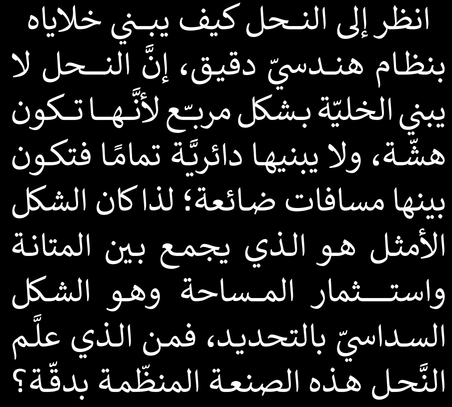
تصميم هندسيّ



الحشرات المضيئة، وهي أنواع عديدة، كان بعض النـاس يجـمعونها في قوارير ويستعـملونها مثل المصابيح للإضاءة.



يرقة عثّة الكاليتا، تحتوي ألوانًا زاهية وهي قادرة على تغييرها بحسب ألوان البيئة المحيطة بها.



انظر إلى النحل كيف يبني خلاياه بنظام هندسيّ دقيق، إنَّ النحل لا يبني الخليّة بشكل مربّع لأنّها تكون هشّة، ولا يبنيها دائريّة تمامًا فتكون بينها مسافات ضائعة؛ لذا كان الشكل الأمثل هو الذي يجمع بين المتانة واستثمار المساحة وهو الشكل السداسيّ بالتحديد، فمن الذي علّم النّحل هذه الصنعة المنظّمة بدقّة؟

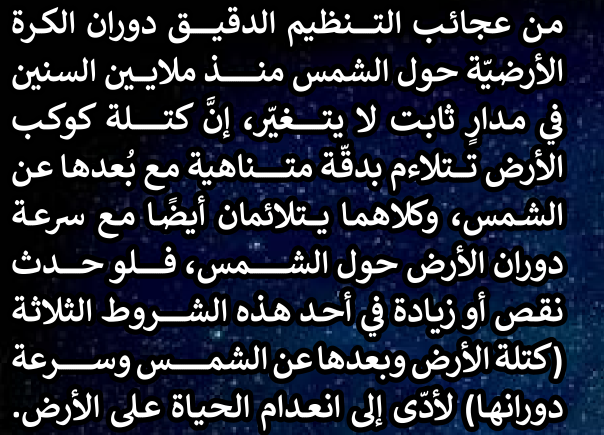
ج ـ النظام في بيئة الأرض

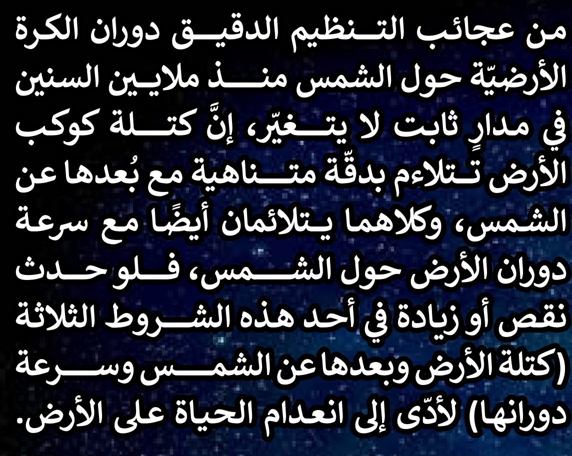
لا يقتصر التنظيم على الكائنات الحيّة، بل على البيئة المحيـطة بها، فانظر مثـلًا كيف ينسجـم الهواء مع رئـتي الإنسان ليتـنفَّس، والمـاء يـروي عطشه فيـبقى حيًّا، والنـباتات ولحوم الحيوانــات تزوّده بالطـعام المغذّي لجسمه، والشمـس تـمنحه الدفء، والليل سكنٌ له، والجاذبيّة الأرضيّة تُمكّنه من السير على الأرض من دون اضـطراب... وهـكـذا.





انظر الصفحة ٣٩ أيضًا





من عجائب التـنظيم الدقيـق دوران الكرة الأرضيّة حول الشمس منــذ ملايـين السنين في مدارٍ ثابت لا يتـغيّر، إنَّ كتــلة كوكب الأرض تـتلاءم بدقّة متـناهية مع بُعدها عن الشمس، وكلاهما يـتلائمان أيضًا مع سرعة دوران الأرض حول الشـمس، فـلو حـدث نقص أو زيادة في أحد هذه الشـروط الثلاثة (كتلة الأرض وبعدها عن الشمــس وسـرعة دورانها) لأدّى إلى انعدام الحياة على الأرض.

لو زادت كتلة الأرض عن الكتلة الحاليّة فسوف يؤدّي ذلك إلى زيادة انجذاب الأرض نحو الشمس بشكل يؤدّي بالتدريج إلى اقتراب الأرض من الشمس حتّى تحترق بحرارتها، أمّا إذا قلّت الكتلة فسوف تقلّ الجاذبية وتبدأ الأرض بالابتعاد عن مدارها الثابت وتضيع في الفضاء.



ولو زادت سرعة دوران الأرض حول الشمس، ستزداد القوّة الدافعة المركزيّة، ما يؤدّي إلى ابتعاد الأرض عن الشمس تدريجيًّا، ولو قلّت سرعة الدوران عن السرعة الحاليّة لأدّى هذا إلى تحرّك الأرض نحو الشمس بالتدريج؛ لأنَّ قوّة الدفع المركزيّ لحركة الأرض تصبح أضعف من كتلتها، وهذا يجعلها تقترب بالتدريج نحو الشمس لتحترق بلهيبها.

الأرض بيتنا الكبير الذي نأكل منه ونشرب منه وننام فيه وننعم فيه بكل الخيرات، فلنحافظ عليه سالمًا من كلّ ضرر وتلوّث وحرب.



ح ـ النظام في الأفلاك السماويّة

قد تعتقد عزيزي القارئ أنَّ النـظام يقتصر فقط على الكرة الأرضيّة وما عليـها، لا، بكلّ تأكيد، فملاييـن الكواكب التي تسبح في السماء تسير وفق أنظمة وقوانين دقيقة جدًّا، تجعل علماء الفلك قادرين على التنبّؤ بحركتها وتوقّع ظهورها بكلّ دقّة وفق حسابات رياضيّة.



فقد اكتشف العالم الفلَكيّ الألـمانيّ (جوهان بود) في القرن الثامن عـشر أنَّ الكواكب التي تضمّها مجموعــتنا الشمســيّة تــدور حول الشمس بأبعاد منتـظمة جدًّا وفق مسافات دقيقة، فوضع قانونًا رياضيًّا يحسب مسافاتها وفق متتالية هندسيّة تتبع الأعداد الآتية: (صفــر-٣-٦-١٢-٢٤-٤٨-٩٦-١٩٢) بحيث يحمل كوكب عطارد الرقم (صفر)، وكوكب الزهرة يحمل الرقم (٣) والأرض تحمل الرقم (٦)، و... هكذا، فاذا أضــفنا الرقم (٤) إلى أيّ عدد من هذه الأعداد ثمّ قسمناه على عشرة وضربنا الناتــج بثابت الوحدة الفـلَكيّة الذي يبلغ ١٤٩,٦ مليون كم، فإنّ الناتج يُساوي بالضبط بُعد كلّ كــوكب عن الشمس.

فمثلًا: كوكب الأرض يحــمل الرقم ٦ وفق قانون (جوهان بود)، فحــين نُضـيف إليه ٤ فسيكون المجموع ١٠، ثــمَّ نقسمه على ١٠ فيساوي ١ ثــمّ نضــربه بثابت الوحدة الفلَــكيّة فــيكون الناتج ١٤٩,٦ مليون كم، وهذا الرقــم يــساوي المسافــة بين الأرض والــشمس.



هذا يعني أنَّ المــدارات التي تــدور فيها الكواكب حول الشــمس ليست عشوائيَّة، وإنّما هي منظّمة تنظيمًا دقيقًا يُمكن لعلماء الفلك أن يحسبوه وهم جالسون في بيوتهم، بمعنى أنَّ النظام لا يــشمل فقط ما يــوجد على الأرض، بل ما يوجد في السماء أيضًا.

ثانيًا

الدليل الفلسفيّ

وهو دليل يستخدمه الفلاسفة في إثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى، وملخّص هذا الدليل أنَّهم يقسمون الموجودات إلى ثلاث أنواع: شيء (مستحيل الوجود) وشيء (ممكن الوجود) وشيء (واجب الوجود).

مُستحيل الوجود

مثاله أن يجتمع النقيضان في الوقت نفسه، فنقول مثلًا: إنَّ أحمد موجود وغير موجود في الوقت نفسه، وهذا أمر مُستحيل، فإمّا أن يكون أحمد موجودًا أو غير موجود في هذه الدُّنيا

هل (مُستحيل الوجود) هو من أوجد (مُمكن الوجود)؟ الجواب: لا، طبعًا؛ لأنَّ مُستحيل الوجود غير موجود أصلًا. فكيف يُمكن أن يُوجِدَ غيرَه؟

مُمكن الوجود

مثاله ولادة أحمد في هذه الدنيا، إذ يُمكن أن يُولد أحمد في هذا الكون وممكن ألّا يُولد، ولهذا فإنَّ (مُمكن الوجود) مسبوق بالعدم، أي كان غير موجود ثمَّ قد يوجد.

هُنا يحقّ لنا أن نسأل: هل (مُمكن الوجود) هو من أوجَد نفسَه؟ الجواب: لا، طبعًا، إذ لا يُمكن لشيء معدوم أن يُوجِد نفسَه، ولا بدّ من أنّ هناك شيئًا آخر أوجَدَه.

واجب الوجود

لا بدَّ من أن نقول: إنَّ الذي أوجد (مُمكن الوجود) شيء ليس (مُستحيل الوجود) ولا (مُمكن الوجود)، بل هو (واجب الوجود)، لذا فهُو غير مسبوق بعدم، كما أنَّه لا يحتاج إلى شيء آخر يُوجِدُه، وذلك هو الخالق سبحانه.

انظر
الصفحة ٦٢ أيضًا

دعونا نطبّق هذا الدليل على مثال لتقريب الفكرة:
لنفترض أنّنا في مستشفى الولادة ننتظر ولادة طفل، فما التصنيف الملائم لحياة المولود الجديد؟
أهُوَ (مُستحيل الحياة) أم (مُمكن الحياة) أم (واجب الحياة)؟

الجواب الصحيح: هو (مُمكن الحياة) طبعًا، إذ يُمكن أن يُولَد الطفل حيًّا ويُمكن أن يُولَد ميتًا، لذا هو ليس (مُستحيل الحياة) وليس (واجب الحياة).

هُنا يأتي سؤال: إذا وُجِدَ الطفل حيًّا فمن الذي منحه هذه الحياة؟ هل هو منحَ نفسه الحياة؟
الجواب: طبعًا لا، إذ كيف لجنين لم يَكُن مَوجودًا أن يمنح نفسه الحياة؟ يعني هذا أنَّ (مُمكن الحياة) غير قادر على منح الحياة لنفسه.
هل منحه الحياة شيء من نوع (مُستحيل الحياة)؟
الجواب: طبعًا لا، لأنَّه لا يملك حياةً أصلًا، فكيف يمنحها إلى غيره؟ إذن لا يبقى لدينا سوى (واجب الحياة) الذي يمنح (مُمكن الحياة) حياته، وهو الله سبحانه وتعالى.

محطّة تاريخيّة:

ما الفلسفة وكيف انتشرت؟

الفلسفة: هي علم يدرس المبادئ الأولى للأشياء، ويحاول تفسير المعرفة باستخدام الأحكام العقليّة، كان هذا العلم يتناول كلّ العلوم كالطبّ والفلك، ولكنّه فيما بعد اقتصر على علم المنطق والأخلاق وعلم الجمال والميتافيزيقا (عالَم ما وراء المادة).



يُعدُّ (أرسطو) من أهمّ الفلاسفة في اليونان؛ لأنّه أدخل الفلسفة في عديد من العلوم، وألّف كتبًا في المنطق والفنون، وكانت له نظريّات فلسفيّة مهمّة، بحيث لُقّب بـ(المُعلّم الأول)

كانت الحضارةُ اليونانيّة أول الحضارات التي نشأت فيها الفلسفة، وانقسمت فيها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة نشوء الفلسفة، وهي المرحلة التي لم تشهد ظهور فلاسفة مشهورين، واقتصر اهتمام الفلسفة على البحث عن مبادئ الكون والميتافزيقا.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة ازدهار الفلسفة، إذ ظهر فيها أشهر الفلاسفة الذين امتدّ تأثيرهم إلى يومنا هذا ومنهم: سقراط وأفلاطون وأرسطو.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة انحطاط الفلسفة، إذ لم تشهد الفلسفة أيّة آراء جديدة أو مهمّة باستثناء ما جاء على يد الفيلسوف أفلوطين.



انتقلت الفلسفة إلى بلاد المسلمين في القرن الثاني الهجري، إذ قام بعض علماء المسلمين بترجمة كتب فلاسفة اليونان إلى العربيّة، وقد كان من أوائل الفلاسفة المسلمين المشهورين يعقوب بن إسحاق الكندي، وقد تواصل ازدهار كثير من المدارس الفلسفيّة الإسلاميّة، ليظهر علماء معروفون في هذا العِلم مثل ابن سينا والفارابي وصولًا إلى ابن رشد الأندلسيّ في القرن السادس الهجريّ.



صفحة من مخطوطة لإخوان الصفا، وهم جماعة من فلاسفة المسلمين كانوا بالبصرة، اتّحدوا على أن يوفّقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفيّة المعروفة آنذاك، فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سمّوها (تحف إخوان الصفا).



من أشهر الذين كتبوا في الفلسفة من علماء المسلمين في العصر الحديث السيّد محمّد باقر الصدر، إذ ألّفَ كتاب (فلسفتُنا) وبيّنَ فيه الفلسفة الإسلامية وتفوّقها على الفلسفات الأُخرى.

ابن رشد الأندلسيّ

ابن رشد هو أحد أشهر فلاسفة المسلمين، قدّم شرحًا مهمًا لفلسفة أفلاطون وأرسطو، وقد تُرجمت مؤلّفاته إلى اللاتينيّة، واعتمدت الحضارة الغربيّة على آرائه في تحقيق نهضتها العقلانيّة، حيث بقيت كتابات ابن رشد تدرّس في جامعة باريس وغيرها في العصور الوسطى.

الفصل الثالث:

شبهات الملحدين

- ما الشبهات على دليل ا لنظام؟
- من هو داروين وما هي الداروينيّة؟
- هل الله رحيم فقط؟
- ما الشبهات على الدليل الفلسفيّ؟
- من هو ستيفن هوكينغ؟

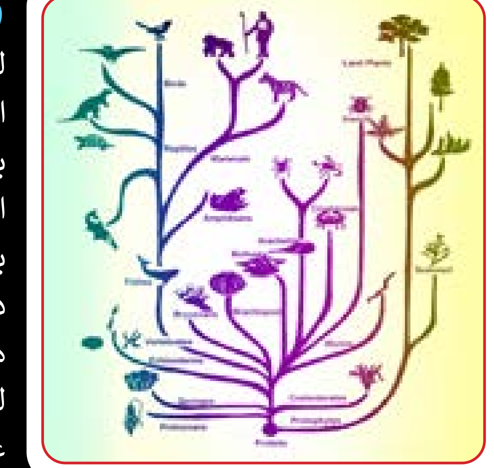
ما الشبهات على دليل النظام؟

الشبهة الأولى: التطوّر الداروينيّ

تمثّل نظريّة عالم الأحياء تشارلز داروين واحدة من أشهر الشبهات التي يحاول الملحدون الاستناد إليها لنفي وجود إله خلق الكون ونظّمه بهذا الشكل الرائع، وملخّص النظريّة أنّ الكائنات الحيّة التي نشاهدها ظهرت وتطوّرت عبر ملايين السنين من خلايا بدائيّة تأثّرت بالظروف البيئيّة التي حولها فجعلتها تطوِّر من إمكانيّاتها للحصول على معيشة أفضل.



بحسب نظريّة داروين كانت أولى الكائنات الحيّة تعيش في الماء وتتنفّس الهواء المذاب فيه، ولكنّ الظروف دفعت بعضها إلى السباحة نحو اليابسة، وبسبب ذلك بدأت تتطوّر أجهزة التنفّس لديها بطريقة جعلتها تستنشق الهواء في الجوّ، كما أنّ اليابسة جعلت زعانفها تتطوّر إلى أقدام، وتطوّرت عيونها لتستطيع النظر خارج الماء.



وللجواب على ذلك:

لو سلّمنا بصحّة الداروينيّة في تطوّر الكائنات الحيّة، فإنّ ذلك لا يتعارض مع الإيمان بوجود إله خالق؛ لأنّ تطور أجسام الكائنات الحيّة يحتاج إلى قوّة عاقلة وحكيمة تقوم بهندسة هذا التعقيد وتنظيمه بكلّ ما فيه من دقّة وإبداع، وبما أنَّ الخلايا نفسها لا تمتلك هذه العقليّة والتنظيم فلا بدّ من أنَّ الخالق لهذه الخلايا هو الذي أودعَ فيها القدرة على أن تتطوّر وتنتظم بهذا الشكل الرائع.

إن التفكير المنطقيّ يقول: فاقد الشيء لا يُعطيه، فكيف يمكن للكائنات التي لا عقل لها أن تمنح الكائنات التي تأتي من بعدها التطوّر والعقل؟ أي كيف تتمكّن أدمغة القردة البدائيّة من منح أدمغة البشر القوّة العقليّة المذهلة؟

فإذا سلّمنا بصحّة النظريّة الداروينيّة فمن حقّنا أن نسأل: من الذي جعل الكائنات البدائيّة تمنح الكائنات التي تتطوّر عنها التكامل والعقل والرُّقيّ؟

انظر الصفحة ٥١ أيضًا

هنالك إشكاليّة كبيرة تواجه نظريّة داروين، وهي عدم بقاء الكائنات الوسيطة الأكثر تطوّرًا من الأسلاف البدائيّة، فمثلًا إذا كان البشر قد تطوّروا بالتدريج عن القردة كما تقول نظريّة التطوّر، فلماذا نجد أنّ الكائنات الوسيطة التي تجمع بين صفات القردة والبشر غير موجودة اليوم؟ في حين نجد البشر والقردة فقط موجودين على الأرض، والمفروض حسب نظرية التطور أن حظّ هذه الكائنات الوسيطة في الاستمرار في الحياة أكبر من حظّ القردة التي تعدّ أقدم في سلّم التطوّر.

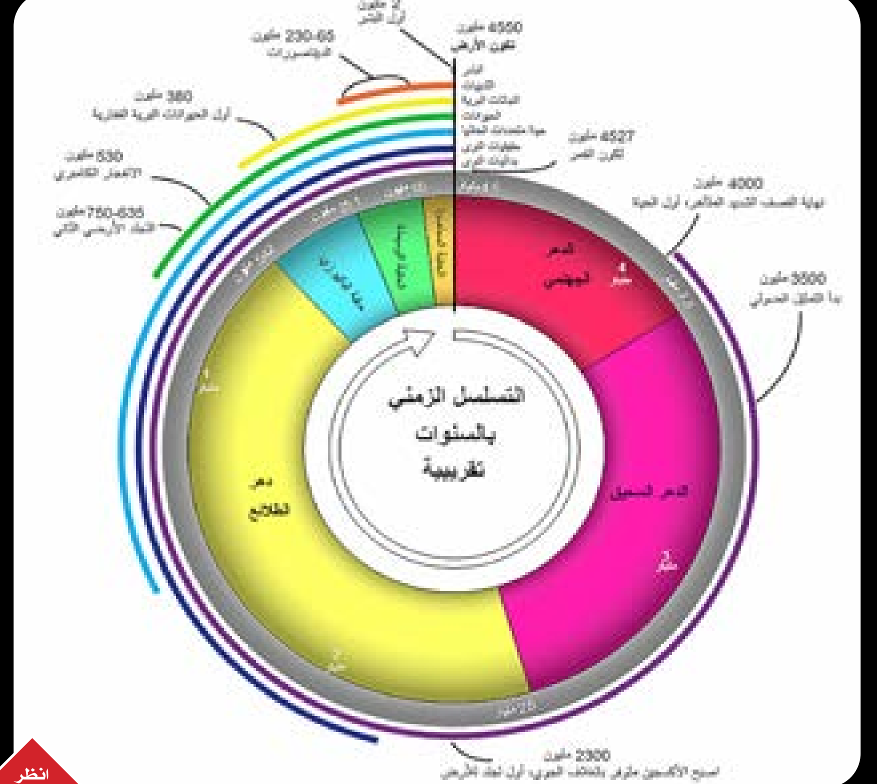


١ هذا موجود حتّى اليوم

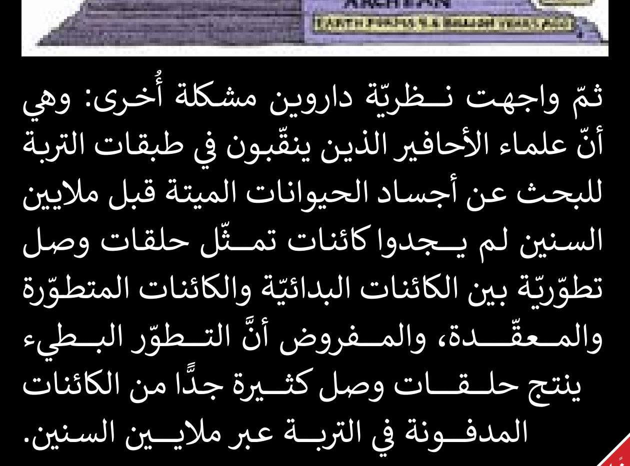
٢ لماذا هذا مفقود؟

٣ هذا موجود حتّى اليوم

واجهت نظريّة داروين إشكاليّات عديدة تفنّد صحّتها، فمثلًا: إنّ التطوّر الذي تقترحه النظريّة يتمّ بالتدريج البطيء جدًّا، وبحسب العلماء فإنّ المدّة من تاريخ ظهور أوّل حياة على الأرض حتّى اليوم لا تستوعب إنتاج كلّ هذا التنوّع الكثير والتطوّر الكبير للكائنات الحيّة.



ثمّ واجهت نظريّة داروين مشكلة أُخرى: وهي أنّ علماء الأحافير الذين ينقّبون في طبقات التربة للبحث عن أجساد الحيوانات الميتة قبل ملايين السنين لم يجدوا كائنات تمثّل حلقات وصل تطوّريّة بين الكائنات البدائيّة والكائنات المتطوّرة والمعقّدة، والمفروض أنّ التطوّر البطيء ينتج حلقات وصل كثيرة جدًّا من الكائنات المدفونة في التربة عبر ملايين السنين.



انظر الصفحة ٥١ أيضًا

إضافة إلى أنّ اكتشاف الخريطة الجينيّة يوضّح أنّ الصفات الموروثة لا تتغيّر بتأثير العوامل البيئيّة بشكل كبير، نعم قد تساعد البيئة على إيجاد تكيّفات جسديّة بسيطة.

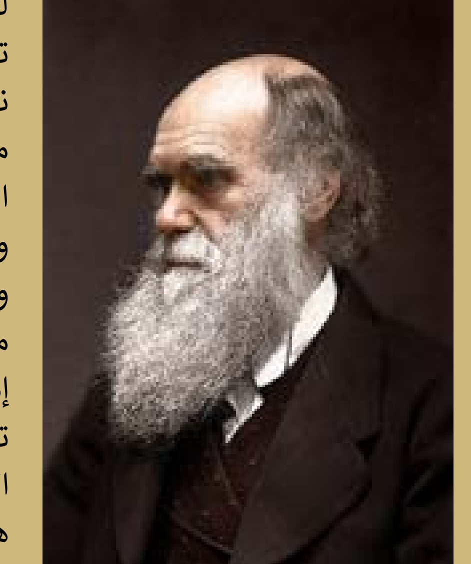
مثلًا: الساكنون في المناطق شديدة البرودة تتكيّف أجسامهم بالتدريج مع تلك المناطق، وهذه التكيّفات تنتقل إلى الأبناء عن طريق الوراثة، ولكنّها لن تصل إلى حدّ حصول تغيّرات جذريّة في أجسامهم، كأن يظهر ريش يغطّي أجسامهم أو أن تظهر أعضاء جديدة تساعدهم على تدفئة أنفسهم مثلًا.



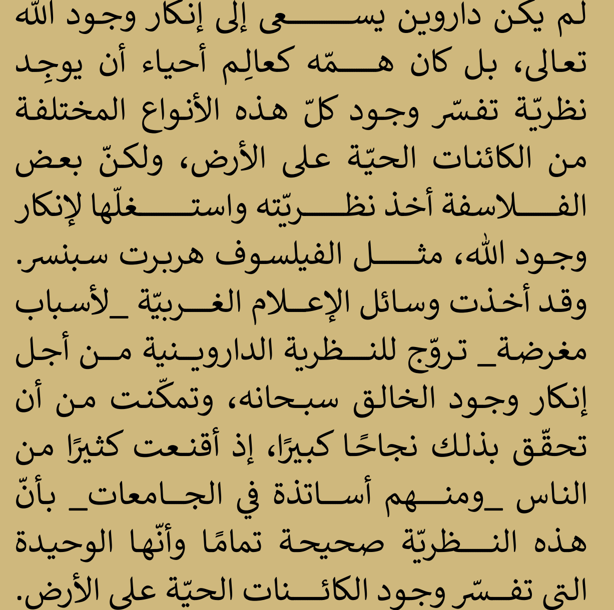
محطّة تاريخيّة:

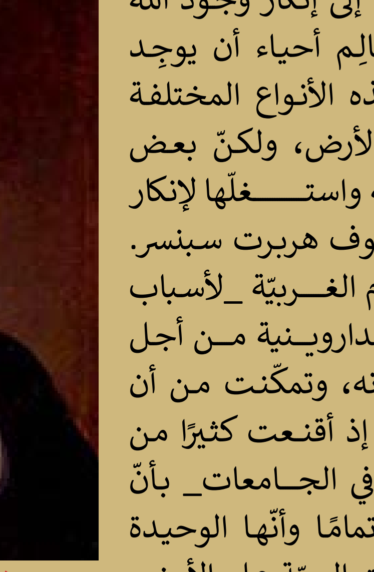
من هو داروين وما هي الداروينيّة؟

تشارلز داروين: هو عالم أحياء إنجليــزيّ عاش في القرن التاسع عشر، كان مهتمًّا بدراسة تصنيف الكائنات الحيّة ونشأتها، اعتمد على التــشابهات بين المخلوقات الحيّة ليضع نــظريّته في تطوّر بعضها عن بعض، وقد اقترح وجود ستّة أصول للكائنات الحيّة التي خلقها الله على الأرض، ومنها تطوّرت الكائنات، علمًا أنّ فــكرة التطوّر ليست خاصّة به، وإنّما تعود إلى كتابات فلاسفة قدماء كانوا قد طرحوا فكرة تطوّر الأحياء مثل الفيلسوف اليوناني أناكسيماندر والفيلسوف جوانكتسو الصيني.

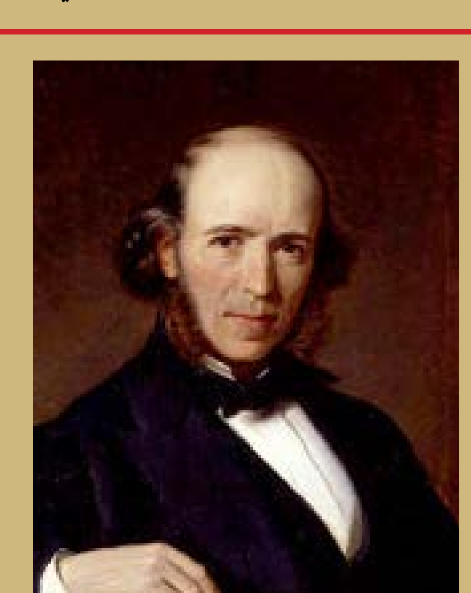


تشارلز داروين





لم يكُن داروين يســـعى إلى إنكار وجود الله تعالى، بل كان هـــمّه كعالِم أحياء أن يوجِد نظريّة تفسّر وجود كلّ هذه الأنواع المختلفة من الكائنات الحيّة على الأرض، ولكنّ بعض الفــلاسفة أخذ نظــريّته واستـــغلّها لإنكار وجود الله، مثـــل الفيلسوف هربرت سبنسر. وقد أخذت وسائل الإعـلام الغــربيّة _لأسباب مغرضة_ تروّج للنــظرية الداروينية مــن أجل إنكار وجود الخالق سبحانه، وتمكّنت من أن تحقّق بذلك نجاحًا كبيرًا، إذ أقنعت كثيرًا من الناس _ومنــهم أسـاتذة في الجـامعات_ بأنّ هذه النــظريّة صحيحة تمامًا وأنّها الوحيدة التي تفسّر وجود الكائــنات الحيّة على الأرض.





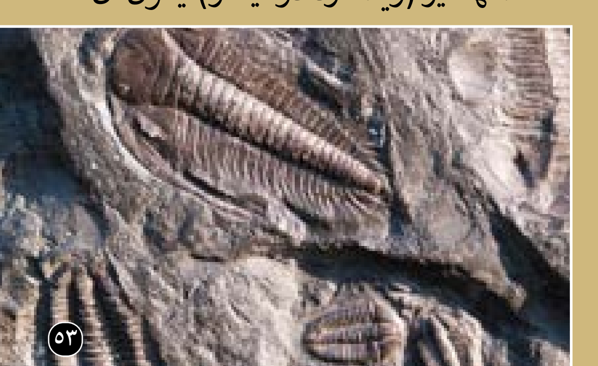


هربرت سبنسر

كان داروين يعترف بوجود إشكاليّة حقيقيّة تواجه نظريّته، حيث قال في كتابه أصل الأنواع:

«إذا كانت الأنواع قد انحدرت من أنواع أُخرى عن طريق التسلسل الدقيق، فلماذا لا نرى في كلّ مكان أعدادًا لا حصر لها من الأشكال الانتقاليّة؟ لماذا لا تكون الطبيعة كلّها في حالة اختلاط بدلًا من أن تكون الأنواع كما نراها محدّدة تحديدًا واضحًا؟ ولكن وفقا لما ورد في هذه النظريّة، ينبغي أن يكون هناك عدد لا نهائيّ من الأشكال الانتقاليّة... لماذا إذنْ لا نعثر عليها مطمورة بأعداد لا تُـعدُّ ولا تُحصى في قشرة الأرض؟ لمـــاذا لا نجد الآن في المنطقة المتوسّطة، التي تتّسم بظروف حياتيّــة متوسّطة، أنواعًا متوسّطة تربط بصفة دقيقة الأشكال البدائيّة بالأشكال المتقدّمة؟ لقــد حــيّرتني هذه الصعوبة منذ فترة طويلة من الوقت».

كما واجهت نظريّة داروين مشكلة أخرى، وهي ما يُسمى بالانفجار الكامبري، إذ وجد علماء الأحافير أنّ الصخور الكامبرية التي يعود تاريخها إلى ٦٠٠ مليون سنة تحتوي على معظم الكائنات اللافقريّة مدفونة معًا في طبقة واحدة، وهو خلاف النظريّة الداروينيّة التي تقتضي أن توجَد هذه الكائنات بشكل تدريجيّ لا في طبقة واحدة، وهذا الاكتشاف جعل الملحد الشهـــير (ريتشارد دوكيـنز) يقول أنّ الانفــجــار الكامبــري قد يكون ضربة قاتلة لنظريّـــة التطوّر.





الشبهة الثانية: الكوارث والأمراض

الإشكال الثاني المطروح على نظريّة النظم: إذا كان الله قد أوجد هذا النظام الدقيق في الكون، فلماذا نرى وجـود خلل في هذا النـظام بين مدّة وأخرى؟ فتقع بعض الكـوارث البيئيّة مثل الزلازل والأعاصير، أو يصاب بعض الناس بالأمـراض الخطيرة أو التـشوّهات الخـلـقيّة؟







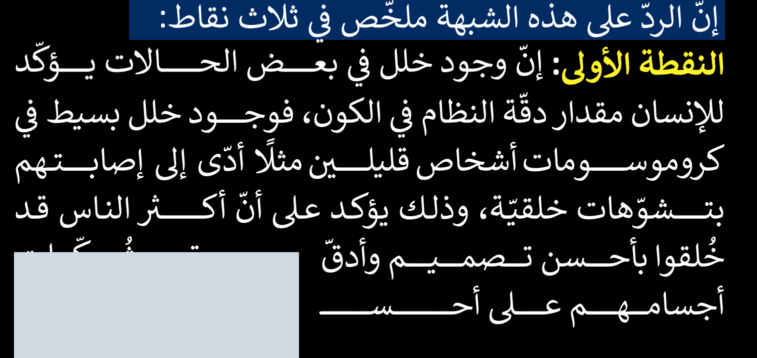
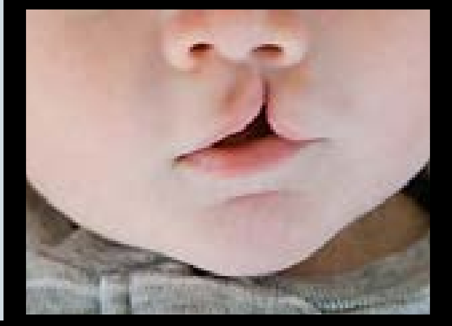
إنّ الملحدين يتّخذون من وجود هذه الكوارث والأمراض دليلًا على عدم وجود نظام أو مُنظِّم لهذا الكون، وهو خطأ كبير، ولتوضيح الفكرة لنفترض أنّك تقرأ كتابًا ضخمًا يحتوي نظريّات علميّة دقيقة وأفكارًا مهمّة، ولكنّك ترى في بعض الصفحات حروفًا موضوعة بشكل عشوائيّ غير مفهوم بالنسبة لك، فهل من الصحيح أن تعُدَّ هذه الحروف دليلًا على أنّ الكتاب كلّه لم يُؤلّفه عالم عاقل وحكيم؟


انظر الصفحة ٥٧ أيضًا

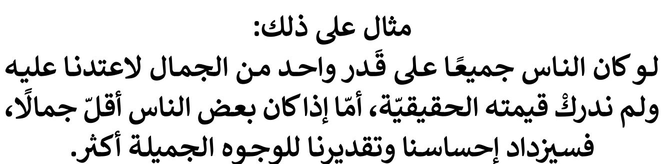
الجواب: لا، فالكتاب كما قلنا يحتوي مادّة علميّة دقيقة وأفكارًا مهمّة ورائعة، تدلّ على أنّ مـؤلّفه إنسان عـالِم مفكّر مبدع، والعـقل في مـثل هذه الحالة يدعونا إلى أن نبحث عن الغاية من وضـع هذه الحروف الـتي نـراها عشوائيّـة، فإذا عرفنا ذلك فهو خـير عـلى خير، وإن لم نـعرف الغاية من هذه الحروف العشوائيّة فـليس من حقّنا أن نحكم على الكـتاب كلّه بأنّه كتاب عشوائيّ وليس له كاتب عالِم حكيم.

إنّ الردّ على هذه الشبهة ملخّص في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: إنّ وجود خلل في بعـض الحـالات يـؤكّد للإنسان مقدار دقّة النظام في الكون، فوجـود خلل بسيط في كروموسـومات أشخاص قليلـين مثلًا أدّى إلى إصابـتهم بتـشوّهات خلقيّة، وذلك يؤكد على أنّ أكـثر الناس قد خُلقوا بأحسن تـصمـيـم وأدقّ ... أجسامـهـم عـلى أحـسـ...

النقطة الثانية: إنّ وجود الخـلل في نـظام بعض الحالات يعود لحكمة يريدها الله تعالى، قد نعلمها وقد لا نعلمها؛ لأنّ الله تعالى أوجد هذا الكون لاختبار الناس وامتـحانهم، والامتحان يقتضي أن يتـعرّض الناس لبعض الصعوبات والابتـلاءات؛ لكي يثـبت صبرهم وإيـمانهم وينـالوا على ذلك أجرًا عظيمًا في الحيـاة الآخـرة.

مثال على ذلك:
لو كان الناس جميعًا على قَدر واحد من الجمال لاعتدنا عليه ولم ندركْ قيمته الحقيقيّة، أمّا إذا كان بعض الناس أقلّ جمالًا، فسيزداد إحساسنا وتقديرنا للوجوه الجميلة أكثر.

النقـطة الثالـثة: إنّ بعض الخـلل في النظام يأتي بسـبب الإنسان نفسه، فبعض الكوارث والأمراض تحدث نتيجة الحروب والملوّثات التي يكون سببها البشر أنفسهم، وظهور آثار أعمالهم السيّئة على النظام الذي أوجده الله تعالى شيء ضروريّ لكي يحسُّوا بالخطر ويقفوا عند حدٍّ ولا يتمادوا في الطغيان والعدوان على الناس والبيئة.

هل الله رحيم فقط؟

قد يرد في ذهنك عزيزي القارئ سؤال: لماذا يبتلي الله عباده الضعفاء بهذا الشكل؟ لماذا لا يتجاوز عن خطاياهم فلا يعرّضهم لمثل هذه الكوارث والأمراض والمصائب الصعبة؟
أليس هو أرحم الراحمين؟ هل تنسجم هذه المشاكل الصعبة مع الرحمة الواسعة لله؟

إنّ هذا السؤال يتضمّن خطأً خفيًّا، فالله تعالى ليس أرحم الراحمين فقط، بل هو حكيم أيضًا، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة، والرحمة أحد تلك الأشياء، فهو لا يرحم الأشخاص الذين يتمادون في العدوان، كما أن من رحمته تسليط البلاء على العاصين لكي يتراجعوا عن إثمهم.

وإذا ورد في ذهنك سؤال: ولماذا لا يجعل الله تعالى الإنسان غير مخطئ في الدنيا لكيلا يعرّضه للبلاء والعقوبة؟



فالجواب: لأنّ حكمته اقتضت أن يقرّر الإنسان باختياره الحرّ السير في الطريق السليم، وأن يعمل بجدّ لكي يفوز بالكمال، فبهذه الطريقة وحدها يصل الإنسان إلى درجة كماله الحقيقيّة.

نحن لا نرى مشكلة في أن يُعاقب الأب أبناءه عندما يُخطئون، أو يقسو عليهم إذا قصّروا في بعض الواجبات، فذلك يمثّل رحمة من الأب لأبنائه لكي يكونوا مستقيمين ويشعروا بالمسؤوليّة ويصحّحوا أخطاءهم. أمّا إذا كان الأب متسامحًا فقط فلن يصحّح الأبناء أخطاءهم وقد لا يشعرون بالمسؤولية في مستقبل حياتهم.







وإنّ من حكمة الله تعالى أن يبتلي المؤمن ليختبر ثباته على الإيمان وصبره، ويدفعه إلى التعلّق به ودعائه، وكلّ ذلك يعود بالفائدة على المؤمن، ليجزيه في الآخرة أفضل جزاء.





انظر الصفحة ٧٤ أيضًا

الشبهة الثالثة: الوجود بالمصادفة

مُلخّص الشبهة الثالثة هو: إنّ النظام الذي نراه في الكون حدث مصادفة، ونعني بالمصادفة حصول شيء مُنظّم من دون تخطيط وقصد، فقد يُشاهد الإنسان في بعض الأحيان حصول مثل هذا الشيء في حياته، فمثلًا قد يُلقي شخص بورقة فتدخل بلا قصد في سلّة النفايات، فيقول عندئذ: إنّ ذلك حدث مصادفة.

نظرية المصادفة هي النظريّة الأساسيّة التي يرتكز عليها كلّ الملحدين لإنكار وجود الخالق سبحانه؛ لأنّ النظام الدقيق الذي يرونه في الكون يحرجهم، ويجعلهم يعتمدون على نظريّة المصادفة في تبرير وجود هذا النظام.

إنّ المصادفة بهذا المعنى يمكن أن تقع في القضايا البسيطة، مثل أن تدخل الورقة في سلّة النفايات كما في المثال السابق، أمّا في القضايا المعقّدة فمن الصعب أن تقع المصادفة؛ لأنّ الأنظمة تُصبح معقّدة، وكلّما زاد التعقيد في النظام ازدادت صعوبة حدوث المصادفة حتّى تصبح مستحيلة.

فإذا كان لدينا جهاز (موبايل) متطوّر وفائق السرعة، فمن الطبيعيّ أن نُعجب بالأشخاص الذين صنعوه، ونثق أنّهم علماء مبتكرون في مجال صناعة الأجهزة الذكيّة؟ حتّى لو لم نعرفهم أو نشاهد كيف صنعوه، ولا يمكن أن نفكّر لحظة واحدة بأنّ أجزاء هذا الجهاز من أسلاك وبطّارية وقطع دقيقة قد تجمّعت مصادفة.



ولو نظرنا إلى رجل آليّ (روبوت) يتحرّك بمرونة لإنجاز مهمّات دقيقة، فسوف نُعجب بالذين صنعوه، حتّى لو لم نعرفهم أو نشاهد كيف صنعوه، ولا يمكن أبدًا أن نتخيّل أنّ هذا الروبوت قد صُنع مصادفة.

فلماذا يمكن أن نتخيّل أنّ جسم الإنسان قد تمّ بناؤه بالمصادفة فقط؟ مع أنّ جسم الإنسان أكثر دقّة وأكثر عظمة من جهاز (الموبايل) ومن (الروبوت)!

انظر الصفحة ٦٠ أيضًا

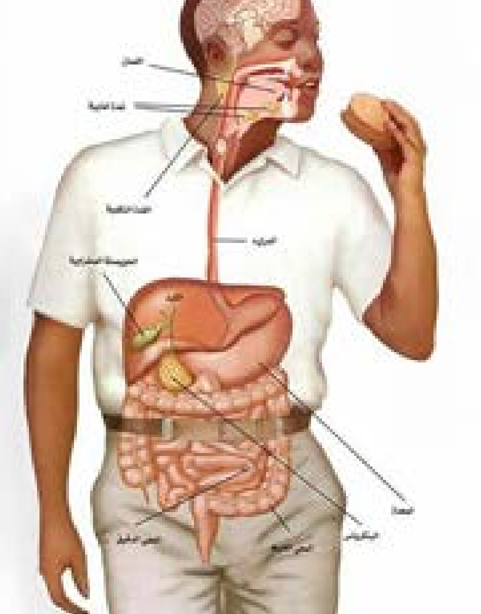


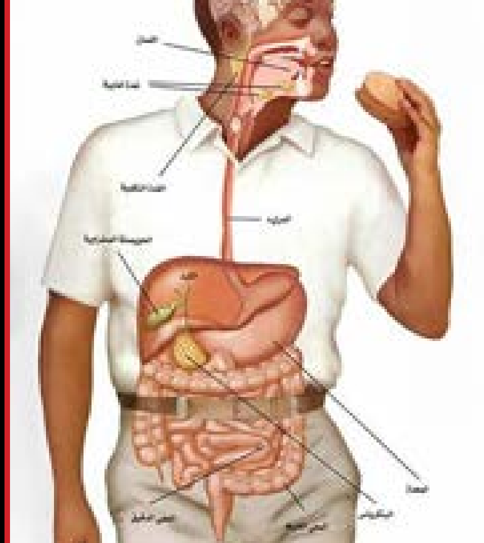
لو نظرنا إلى مواصفات أقوى (كاميرا رقميّة) اليوم سنجد أنّ دقّتها تصل إلى ٥٠ ميجا بكسل، في حين تصل دقّة العين البشريّة إلى ٥٧٦ ميجا بكسل، على الرغم من أنّ عين الإنسان أصغر بكثير من الكاميرا الرقميّة. فلماذا لا نجرؤ على قول أنّ الكاميرا الرقميّة وُجدت مصادفة من دون مصمّم دقيق، في حين نقول بكلّ جرأة أنّ العين البشريّة وُجدت مصادفة؟

حساب قيمة المصادفة بالأرقام

ولكي نؤكّد أنّ المصادفة ليست لها قيمة بلُغة الأرقام نقول: لو افترضنا أنّ الجهاز الهضميّ للإنسان يتكوّن من ١٠ أجهزة هي على الترتيب الآتي:

١- الفم
٢- البلعوم
٣- المريء
٤- المعدة
٥- الكبد
٦- البنكرياس
٧- الأمعاء الدقيقة
٨- الأمعاء الغليظة
٩- المستقيم
١٠- المخرج





ولنفترض أيضًا أنّ المصادفة هي السبب في ترتيب هذه الأجهزة بهذا الشكل الدقيق، فالفم يجب أن يسبق البلعوم في الترتيب، والبلعوم يجب أن يسبق المريء في الترتيب وكذلك بالنسبة لترتيب الأعضاء الأُخرى، فمن دون هذا الترتيب الدقيق سيُصابُ الجهاز الهضميّ بخلل يؤدّي إلى موت الإنسان بلا شكّ.



ولكي نحسب احتمال المصادفة في حصول هذا الترتيب الصحيح بالنسبة لاحتمال حصول خطأ في الترتيب نتبع معادلة رياضيّة بسيطة تُسمّى «التباديل» ومعادلة التباديل كالآتي:

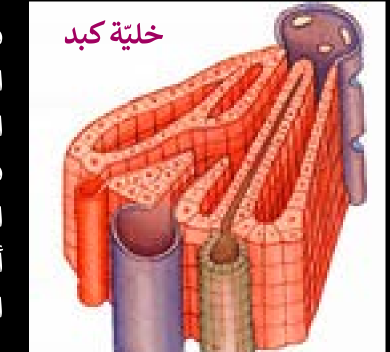
التباديل = حاصل مضروب العدد في عدد مرّاته

وعند تطبيق المعادلة على عدد أجهزة الجهاز الهضميّ يكون الناتج كالآتي:

١٠×٩×٨×٧×٦×٥×٤×٣×٢×١= ٣,٦٢٨,٨٠٠ احتمال

بمعنى أنّ مقدار المصادفة في حصول الترتيب الصحيح لأعضاء الجهاز الهضميّ تساوي ١ احتمال في تحقّق الترتيب الصحيح من ٣,٦٢٨,٨٠٠ احتمال للخطأ في الترتيب، وهي كما ترى عزيزي القارئ قيمة ضئيلة جدًّا تكاد لا تستحقّ الذِكر.

المصادفة = ١ / ٣,٦٢٨,٨٠٠




خليّة كبد

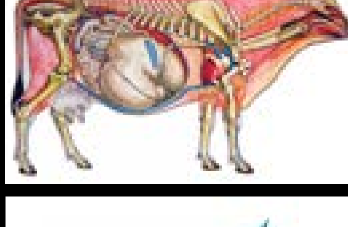
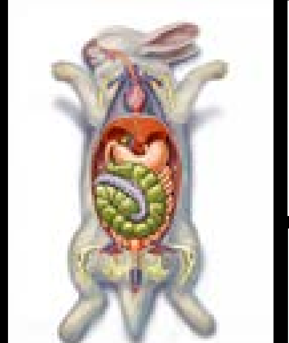
خليّة عصبيّة

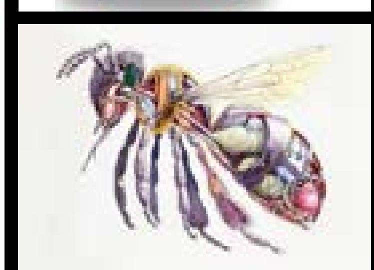
فإذا أضفنا احتمالات أُخرى للخطأ غير الخطأ في ترتيب أعضاء الجهاز الهضميّ، كأنْ يكون جدار المعدة مصنوعًا من خلايا العظام بدلًا من الخلايا الهاضمة، أو تكون خلايا الكبد مصنوعة من خلايا الدماغ، ففي مثل هذه الحالة سوف ترتفع نسبة الخطأ بالمصادفة في تنظيم الجهاز الهضمي إلى ١ من مليارات مليارات الاحتمالات الخاطئة. أي تضعف قيمة المصادفة بشكل كبير جدًّا حتّى تعجز عن تحقيق النظام الدقيق في الجهاز الهضمي الذي يُبقي الإنسان على قيد الحياة.

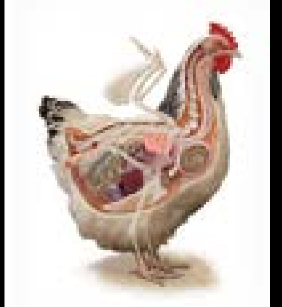


فكيف إذا نظرنا إلى جميع أجـهزة جسم الإنسان التي تـتـكـوّن مـن مئـات الأعضاء وترليونات الخلايا التي تعمل معًا بكلّ دقّة وانسجـام ونــظـام؟ كم ستكون قيمة المصادفة في إيجادها؟

وكيف إذا نـظرنا إلى أجهـزة أجسـام جميـع الـحيـوانـات على الأرض، على اخـتـلافـهـا وتنوّعها الكبير، ونظرنا كيف تعمل بانسجام مع الأعضـاء الأُخرى ومع البيئة المحيطة بها.



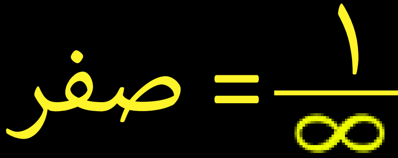




وكيف إذا نظرنا إلى أجهزة جميع النباتات على الأرض؟ بما تمتلكه من تنوّع هائل وانتظام دقيق مع البيئة ومع النباتات الأُخرى.

وإذا نـظـرنـا إلـى النـظـام الذي يحكم الأفـلاك والكـواكب السابـحة في الفضاء، فإنّ احتمال المصادفة في تحقـيق كل هـذه الأنظمة سيكـون رقمًا قليلًا مقـابل ما لا نهاية من الاحتمالات للخطأ.





$\frac{١}{\infty}$ = صفر

ومعـروف بلُغة الرياضـيّات أنّ حاصـل قسمة أيّ عدد على ما لا نـهاية يساوي صفـرًا، وبـذلك نـثبت بلُغة الأرقـام أنّ احتمال المصادفة في إيجاد هذا النظام الكـونيّ الدقيق يـساوي صفرًا.


انظر الصفحة ٢٨ أيضًا

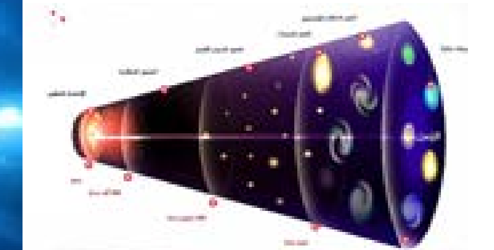
ما الشبهات على الدليل الفلسفيّ؟

الشبهة الأولى: (ممكن الوجود) الأزليّ

يعترض بعض الملحدين على الدليل الفلسفيّ فيقولون: إنّ ممكن الوجود لا يحتاج إلى واجب الوجود، لأنّ (ممكن الوجود) يمكن أن يخلق نفسه، وهذا الاعتراض هو مضمون كلام عالم الفيزياء الشهير ستيفن هوكينغ، إذ يرى أنّه لا يوجد شيء اسمه عدم في الكون، وأنّ الفراغ الذي نشاهده في الفضاء ليس عدمًا حقيقيًّا بل يُطلق عليه اسم فراغ كمّيّ؛ لأنّه يحتوي حدًّا أدنى من الطاقة يجعله فراغًا مضطربًا؛ ولذلك يستنتج أنّ هذا الكون جاء بتخليق ذاتيّ بفعل الجاذبيّة التي تعمل على إظهار المادّة من هذا الفراغ الكمّيّ.

هذا يعني أنّ مادّة هذا الكون (وهو ممكن الوجود) جاءت من فراغ غير فارغ، (وهو ممكن الوجود أيضًا) وذلك ما سبّب حدوث الانفجار العظيم BIG BANG.





وفي الحقيقة إنّ هناك اشتباهًا كبيرًا لدى ستيفن هوكينغ، فالفراغ الذي يصفه بالعدم ليس عدمًا حقيقيًّا، بل هو مكان مخلوق، وقد اعترف بذلك هوكينغ قائلًا: «الفضاء لا يكون فارغًا أبدًا ولكنّه سيبقى فى الحالة الأقلّ من الطاقة التي تُسمىّ فراغًا وهذه الحالة يحدث بها تذبذبات الجسيمات إلى داخل وخارج المجال المضطرب».
لذا فإنّ العدم الذي يتحدّث عنه هو غير العدم الذي يتحدّث عنه الفلاسفة، فالعدم الذي يقصده الفلاسفة زال بمجرّد ظهور الكون، بحيث ليس لدينا اليوم في الكون موضع نُطلق عليه اسم عدم.

إن العدم يُناقض الوجود، فلا يجتمع العدم والوجود في الوقت ذاته؛ لذلك عندما ظهر الكون زال شيء اسمه العدم، وما نراه من فراغ في الفضاء لا يُسمّى عدمًا، إنّما يُسمّى مكانًا فارغًا على سبيل المثال

وإذا قلنا أنّ الكون جاء إلى الوجود من هذا الفراغ الذي وصفه هوكينغ بأنّه مُضطرب، فمن حقِّنا أنْ نسأل: وما الذي أوجد هذا الفراغ المُتذبذب الذي هو (ممكن الوجود) أيضاً؟
إن ما يطرحه هوكينغ يعني أنّ (ممكن الوجود) يستند على سلسلة لا متناهية من (ممكن الوجود)، وهذا يتناقض مع البديهيّة العقليّة الرابعة التي تحدّثنا عنها في الفصل الأوّل، وهي امتناع التسلسل إلى ما لا نهاية، بمعنى أنّ سلسلة توالد (ممكن الوجود) عن (ممكن الوجود) آخر لا بد أنْ تنقطع عند (واجب الوجود)، فمن دون (واجب الوجود) من المستحيل أن يظهر (ممكن الوجود) في الواقع.



لتوضيح الفكرة دعونا نأخذ مثالًا: لو أنّ لديك معاملة ورقيّة تحتاج أن يوقّع عليها الموظّف رقم ١ في دائرة حكوميّة، ولكنّ الموظّف رقم ١ قال أنّه لن يختمها ما لم يختم عليها الموظّف رقم ٢، وعندما ذهبت إلى الموظّف ٢ قال لك أنّه لن يختم أيضًا ما لم يختم عليها الموظّف رقم ٣، فاذا بقيت السلسلة مستمرّة بهذا الشكل إلى ما لا نهاية فإنّ المعاملة لن تُختَم أبدًا، فاذا وجدنا أنّ المعاملة قد تمّت فعندئذٍ نعلم أنّ أحد الموظّفين قد أوقف السلسلة وقرّر الختم من دون الاعتماد على موظّف آخر.

انظر الصفحة ١٣ أيضًا

إنّ إحدى الحُجج التي يطرحها ستيفن هوكينغ لإثبات الدليل على عدم وجود خالق للكون هي: أنّه قبل الانفجار العظيم ووجود هذا الكون لم يكن هناك زمن، وهذا يقتضي عدم إمكان وجود وقت للربّ لكي يصنع فيه هذا الكون.

وقد وقع ستيفن هوكينغ في هذا الاشتباه بسبب العقيدة المسيحيّة التي تتضمّن معنى أنّ الربّ يحتاج إلى الزمان والمكان. في حين أنّ العقيدة الصحيحة -كما يرى دين الإسلام- تنفي تمامًا حاجة الله تعالى لأيّ شيء، فهو لا يحتاج إلى مكان ليوجَد فيه، ولا يحتاج إلى زمان لكي يتصرّف أو يتحرّك فيه أو يخلق فيه.

وقد رُوي عن الإمام عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة إثبات أنّ الله تعالى لا يُمكن أن يكون محتاجًا إلى الزمن والوقت فقال: (لا تصحبُهُ الأوقاتُ ولا ترفدُهُ الأدَواتُ، سبقَ الأوقات كونُهُ والعدمَ وجودُهُ والابتداءَ أزلُهُ).

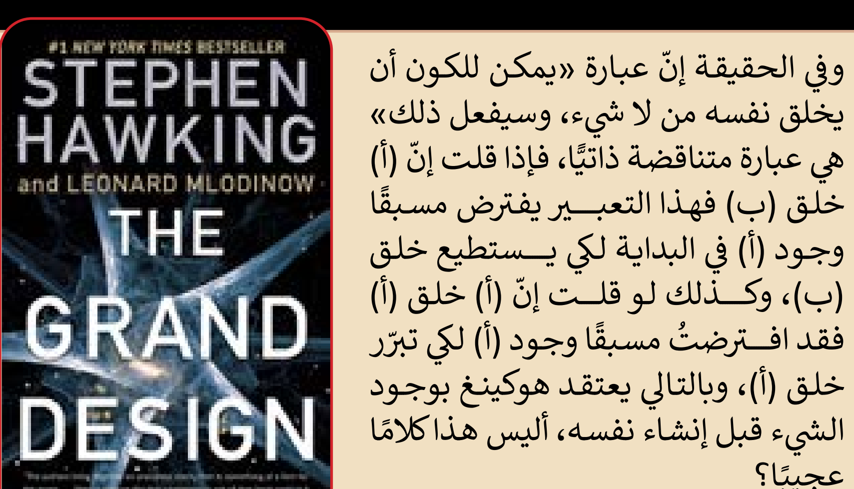
(لا تصحبُهُ الأوقاتُ ولا ترفدُهُ الأدَواتُ، سبقَ الأوقاتَ كونُهُ والعدمَ وجودُهُ والابتداءَ أزلُهُ)

الإمام علي (عليه السلام)

يقول ستيفن هوكينغ في كتابه (التصميم العظيم):

«إنّ مبدأ الأكوان المتعدّدة من الممكن أن يفسّر دقّة القوانين الفيزيائيّة من دون الحاجة إلى وجود خالق سخّر لنا الكون، فبسبب قانون الجاذبيّة يستطيع الكون ويمكنه أن يُنشئ نفسه من اللاشيء، فالخلق الذاتيّ هو سبب أنّ هناك شيئًا بدلًا من لاشيء، ويفسّر لنا لماذا الكون موجود، وكذلك نحن».

وفي الحقيقة إنّ عبارة «يمكن للكون أن يخلق نفسه من لا شيء، وسيفعل ذلك» هي عبارة متناقضة ذاتيًّا، فإذا قلت إنّ (أ) خلق (ب) فهذا التعبير يفترض مسبقًا وجود (أ) في البداية لكي يستطيع خلق (ب)، وكذلك لو قلت إنّ (أ) خلق (أ) فقد افترضتُ مسبقًا وجود (أ) لكي تبرّر خلق (أ)، وبالتالي يعتقد هوكينغ بوجود الشيء قبل إنشاء نفسه، أليس هذا كلامًا عجيبًا؟



كتاب: التصميم العظيم

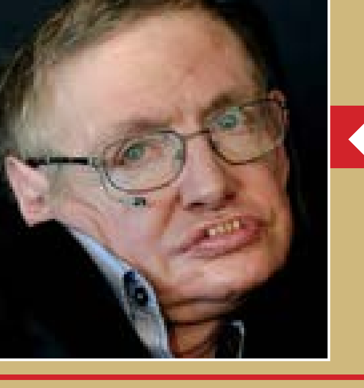
إنّ اعتقاد ستيفن هوكينغ بوجود الأكوان المتعدّدة يناقض المنهج التجريبيّ الذي لا يعترف بوجود شيء غير محسوس ولم يُجرّب في المختبر؛ لذلك فقد وقع هوكينغ في تناقض مع المنهج الذي يستند إليه في أبحاثه، فكلّ ما اعتقد هوكينغ بوجوده -مثل قانون الجاذبيّة الذي خلق الكون، والزمن التخيّليّ، والأوتار الفائقة، والأكوان المتعدّدة- لم تُرَ ولا يُعرف بالضبط شكلها وخصائصها، بل اعتقد بوجودها نظريًّا فقط عبر التفكير المجرّد، وهي طريقة أقرب إلى التفكير الفلسفيّ الذي حاول هوكينغ نفسه أن ينفي قيمته عندما قال: «إنّ الفلسفة قد ماتت».

إنّ الفيزياء النظريّة تختلف عن الفيزياء التطبيقيّة، فهذا الحقل العلميّ يشمل النظريّات التي لم يتمّ إثبات حقيقتها بالتجربة، لذا هي أقرب ما تكون إلى التفكير الفلسفيّ الخالص.

انظر الصفحة ١٩ أيضًا

محطّة تاريخيّة:

من هو ستيفن هوكينغ؟




ستيفن هوكينغ

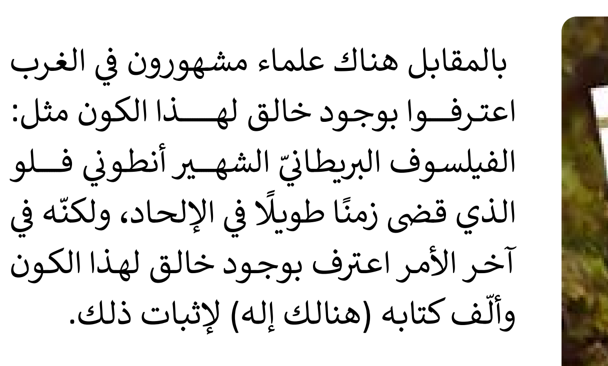
يُعدُّ ستيفن هوكينغ من أشهر الفيزيائيّين في العالم، اشتهر بأطروحته في إثبات أنّ الانفجار العظيم يمثّل بداية الكون، ونظريّته في حساب مساحة الثقوب السوداء في السماء، ومحاولته لوضع نظريّة كلّ شيء التي تدمج بين أشهر نظريّتين في الفيزياء: النظريّة النسبيّة ونظريّة الكمّ، ولديه نظريّات عديدة في حقل (الفيزياء النظريّة).



يُعاني ستيفن هوكينغ من مرض نادر

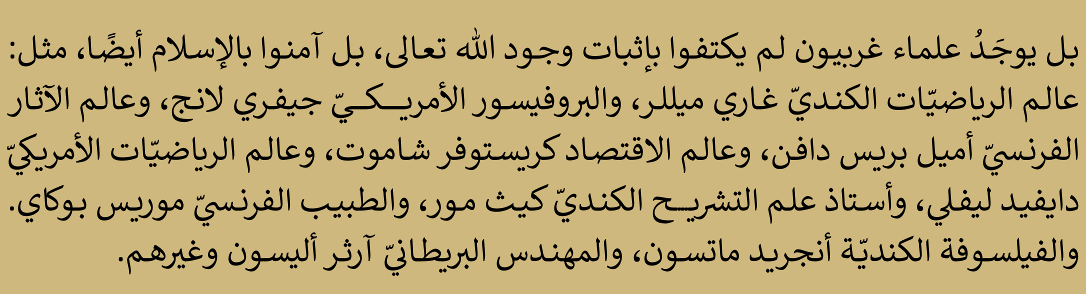
أثّر إعلان ستيفن هوكينغ إلحاده على كثير من الناس، ليس لأنّهم فهموا الأدلّة التي طرحها لإثبات عدم وجود الله، بل بسبب شهرته العلميّة الواسعة في مجال تخصّصه.

ومثل هذا الأمر لا يليق بالناس المنصفين، فإنّ إبداع رجل في مجال اختصاصه العلميّ لا يعني أنّه قادر على أنْ يُبدع في كلّ الاختصاصات العلميّة والفكرية الأُخرى، لا سيّما في مسألة حسّاسة مثل وجود الخالق لهذا الكون .



بالمقابل هناك علماء مشهورون في الغرب اعترفوا بوجود خالق لهذا الكون مثل: الفيلسوف البريطانيّ الشهير أنطوني فلو الذي قضى زمنًا طويلًا في الإلحاد، ولكنّه في آخر الأمر اعترف بوجود خالق لهذا الكون وألّف كتابه (هنالك إله) لإثبات ذلك.



بل يوجَدُ علماء غربيون لم يكتفوا بإثبات وجود الله تعالى، بل آمنوا بالإسلام أيضًا، مثل: عالم الرياضيّات الكنديّ غاري ميللر، والبروفيسور الأمريكيّ جيفري لانج، وعالم الآثار الفرنسيّ أميل بريس دافن، وعالم الاقتصاد كريستوفر شاموت، وعالم الرياضيّات الأمريكيّ دايفيد ليفلي، وأستاذ علم التشريح الكنديّ كيث مور، والطبيب الفرنسيّ موريس بوكاي. والفيلسوفة الكنديّة أنجريد ماتسون، والمهندس البريطانيّ آرثر أليسون وغيرهم.

الشبهة الثانية: مَن الذي خلق الله ؟



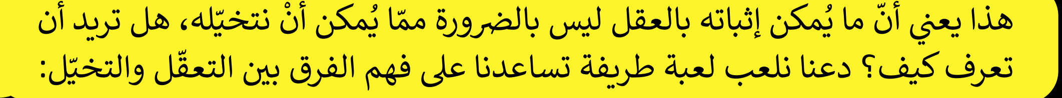
قد يرِد في ذهنك عزيزي القارئ سؤال: إذا أثبتنا أنّ الله هو (واجب الوجود) الذي خلق (ممكن الوجود)، فمن الذي أوجد الله أصلًا؟ الجواب بسهولة: إنّ الله سبحانه لا يمكن أنْ يُخلق من قِبَل أيِّ أحد، أي هو موجود أزليّ؛ بمعنى أنّه يجب أنْ يكون موجودًا في كلّ زمان وفي كلّ مكان، بل إن وجوده سبق وجود الزمان والمكان.

هنا قد يصعب على ذهنك أيّها القارئ العزيز أنْ تتخيّل شيئًا أزليًّا لم يكن مخلوقًا من قبل، كما يصعب عليك أنْ تتخيّل العدم الذي ظهر منه الوجود، وهذه الصعوبة أمر طبيعيّ ولا علاقة له بعمل العقل، وإنّما له علاقة بقوّة أُخرى نُطلق عليها اسم (التخيُّل).



ماذا يعني هذا؟

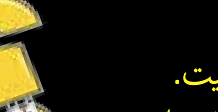




هذا يعني أنّ ما يُمكن إثباته بالعقل ليس بالضرورة ممّا يُمكن أنْ نتخيّله، هل تريد أن تعرف كيف؟ دعنا نلعب لعبة طريفة تساعدنا على فهم الفرق بين التعقّل والتخيّل:

لو افترضنا أنّ لديك ورقة سمكُها ٠,١ ملم فقط، وطلبنا منك أنْ تقطعها نصفين وتضع أحدهما فوق الآخر، ثمّ تقطعهما معًا إلى نصفين وتضع بعض الأوراق فوق بعضها، وتقطعها جميعًا مرّة ثالثة، وهكذا تفعل حتّى تصل في تقطيع الأوراق إلى ٤٢ مرّة، فكم سيكون سمك الأوراق التي قطعتها وجمعتها فوق بعضها؟ اختر الاجابة التي تعتقد أنّها صحيحة من الاختيارات الآتية:





١- سيكون سُمك الأوراق مترًا واحدًا.
٢- سيكون سُمكها مثل المسافة بين الأرض وسقف البيت.
٣- سيكون سُمكها مثل المسافة ما بين الأرض والقمر تقريبًا.

أعتقد أنّك ستختار الجواب الأوّل، وربّما الجواب الثاني.. ولكنّ الجواب الصحيح هو الثالث، أي سيكون سُمك الأوراق بعد قطعها ٤٢ مرّة ورصفها بعضًا على بعض يساوي ٤٣٩,٨٠٤ كيلو متر، وهي مسافة أكبر بقليل من المسافة بين الأرض والقمر. طبعًا يُمكنك بالآلة الحاسبة أن تحسب المثال لتتأكّد من النتيجة، إنّ الأرقام لا تُخطئ أبدًا.



ربما لا تزال غير مصدّق فتقول: كيف يمكن ذلك؟ أوراق قليلة، سُمك الواحدة منها ٠,١ ملم، نقطعها ونرصفها فوق بعضها ٤٢ مرّة فقط، كيف يمكن أن يُساوي سُمكها هذه المسافة الكبيرة جدًّا؟

إنّ عدم تصديقك للنتيجة في اللعبة السابقة ليس بسبب مشكلة في حكم العقل، فالعقل وفق حساب الرياضيّات لم يخطئ، ولكنّ المشكلة في تخيّلك للمسألة، إنّ التخيّل عجز عن إدراك ما أثبته العقل من حقيقة.

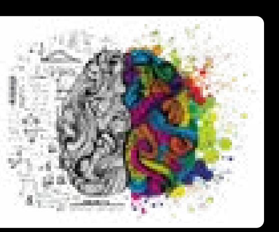
الفصّ الأيمن من الدماغ مسؤول عن عمليّات التخيّل

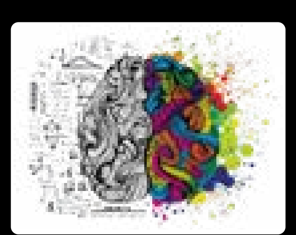
الفنّ
العاطفة
الإبداع
المغامرة

الفصّ الأيسر من الدماغ مسؤول عن التفكير المنطقيّ

العقلانيّة
اللغة
التخطيط
العلوم

Left vs. Right
ABC



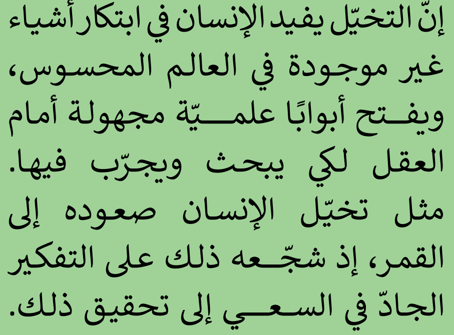


هذا يعني أنّ هنالك نتائج مختلفة يمكن أن يصل إليها الإنسان في تفكيره: نتائج يصل إليها العقل ونتائج يصل إليها التخيّل، وليست ضرورة أن تكون النتائج واحدة في كليهما.

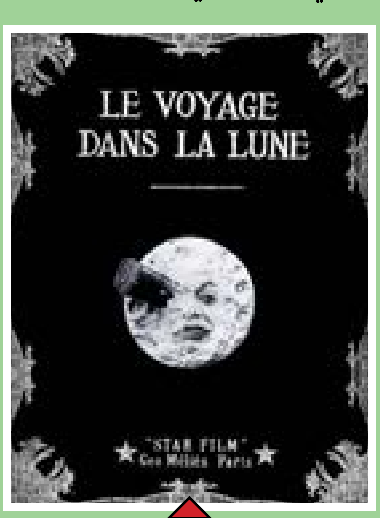
لذلك قلنا أنّ العقل يُثبت وجود خالق أزليّ لا يحتاج إلى من يخلقه، كما يُثبت أنّ هذا الكون كان مسبوقًا بالعدم، ولكنّ التخيّل يعجز عن ذلك، والحقيقة دائمًا تقف إلى جانب العقل ولا تقف إلى جانب الخيال، فإذا عجزت عن تخيّل شيء فلا يعني ذلك أنّ هذا الشيء غير موجود.


انظر
الصفحة ٢٤ أيضًا

بقوة الخيال يمكن للإنسان أن يتصوّر مخلوقًا أسطوريًّا برأس بشريّ وجسد ثور وجناحي طير، وعلى الرغم من أنّه لا يوجد شبيه لهذا المخلوق في الحقيقة إلا أنّ الإنسان يستطيع تخيّل هذا المخلوق نتيجة تركيبه لأشياء حقيقيّة شاهدها من قبل، فرأس الإنسان وجسد الثور وأجنحة الطيور كلّها موجودة ولم يقم الإنسان إلّا بالجمع بينها بخياله.



إنّ التخيّل يفيد الإنسان في ابتكار أشياء غير موجودة في العالم المحسوس، ويفتح أبوابًا علميّة مجهولة أمام العقل لكي يبحث ويجرّب فيها. مثل تخيّل الإنسان صعوده إلى القمر، إذ شجّعه ذلك على التفكير الجادّ في السعي إلى تحقيق ذلك.



بوستر فيلم (الصعود إلى القمر) الذي أُنتج سنة ١٩٠٢م، تخيّل فيه الإنسان وصوله إلى القمر، وحقّق ذلك فعليًّا سنة ١٩٦٩م.

خاتمة: صفات الله تعالى

بعد أن سرنا بالعقل على طـــريق إثبات وجود الله سبحانه، نختم موضوعنا بحديث مختصر عن صفاته (جلّ جلاله)، فذلك يرتبط ارتباطًا جذريًا بقضيّة وجوده، والصفات الإلهيّة التي نرى أهميّة الحـديث عنها هُنا هي: **الغنيّ، الواحد، العادل، العالم، القـادر.**

أولًا: الغنيّ

من أهـمّ صفاته سبحــانه أنّه غنيّ عن أيّ شيء مطلـقًا؛ لأنّه لو كان مُحتاجًا – لأيّ شيء مهما كان بسيـطًا- خرج عن كونه إلهًا، فإذا لم يكن غنيًّا مطلقًا فالعقل يحكم بأنّه محتاج لغيره، وهذا الغير هو الأحقّ أن يكون الإله.

وصفة الغِنى في الله تـعالى تستـلزم النقاط المهـمّة الآتية:

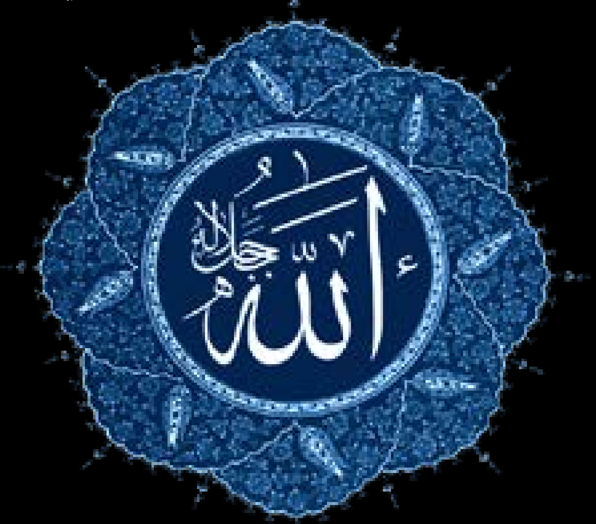
١- إنّ ذات الله تـعالى ليـست مركّبة، بمعنى ليست مكـوّنة مـن أجـزاء؛ لأنّ الذات المركّبة مـن أجزاء تكون مُحتاجة في وجودها إلى تلك الأجزاء، ومثال ذلك الإنسان، فالإنسان مركّب من أجزاء مثل الرأس واليدين والقدمين والأعضاء الأخرى، ومن دونها لا يمكن للإنسان أن يُوجَد أو يبقى في الوجود، وبـذلك يُعدّ الإنسان مُحتاجًا لأجزائه، وهذا لا يمكن أن نتصوّره في الله تعالى؛ لأنّ ذات الله تعالى غنيّة في كلّ شيء ولا يمكن أن تكون بها حاجة إلى شيء.

٢- إنّ ذات الله تعالى ليست لها حـدود، وإنّما هي مُطلـقة؛ لأنّها لو كانت لها حـدود لصارت تشغل حيّزاً من مكان، ويكون الله سبحانه بذلك محتاجًا إلى مكان يوجد فيه، والله تعالى لا يمكن أن يكون محـتاجًا إلى أيّ شيء.

٣- إنّ الله تـعالى لا يُشبـهه شيء من خلقِه؛ لأنّه لو كان فيه شيء من صــفات المخلوقين، صار محتاجًا مثلهم، محتاجًا إلى أجزائه، ومحتاجًا إلى مكان يُوجَد فيه، لذا ورد في القرآن الكريم قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير).

ثانيًا: الواحد

إنّ النقاط المـذكورة في صفة الغِنى لله تـعالى تؤكّد لنا أهمّ صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، وهي الوحدانيّة،



وعندما نقول أنّ الله واحد فلا نـعني العدد (واحـد) بحيث يجوز أن يكون من بعده ثانٍ، بل بمـعنى أنّه الإله الوحيد في الوجود، فلا شريـك له ولا ضدّ له ولا شبيه له، ومـن الأدلّة على إثبات توحيده سبحانه ما يأتي:

١- لو كان هـنالك إله ثانٍ، لاقتضى ذلك أن تـكون كلّ ذات إلهيّة محدودة بحدود، لكي يتميّز بها الإله الأوّل عـن الثاني، ولو كانت الذات الإلهيّة محدودة لأصبحت محتاجة إلى مكان يحتويها كما أشرنا في النقطة الثانية من صفة الغنيّ، وحيث لا يمكن أن تكون الـذات الإلـهيّة محتاجة، فإن احتمال تعدّد الآلهة باطل.

٢- لو كان هنـالك إله ثانٍ، فإمّا أنْ يكونا متعاونَين على تدبير شؤون هذا الكون، والتعاون دليل الحاجة؛ لأنّ الغنيّ بذاته لا يحتاج إلى معونة، والذات الإلهيّة يـجب أن تكون غنيّة عن كلّ شيء.

٣-ولو افترضنا أنّ هنالك إلهـين متضادّين وغير متعاونَين في التصرّف بشؤون الكون، فـهنا سوف يقع النزاع في تدبير الكون، فـكلّ إله يريد شيـئًا والإله الآخر ينـقضه، وبذلك يفسد الكون وينهار بسرعة، وهو ما أشار إليـه القـرآن الكـريم بقوله: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا).

٤- إنّـنا نلاحـظ أنّ كـثـيرًا من الأشـياء في هـذا الكون مُتـضـادّة، فالنـور ضـدّ الظلام، والليـل ضدّ النهار،

والرطوبة ضدّ الجفاف، والبرودة ضدّ الحرارة، ومع ذلك نجد كلّ هذه الأشياء المتضادّة متناسقة ومُتناغمة بعضًا



مع بعض، وهذا خير دليل على أنّ خالقـها ومدبّرها واحد، وهذا ما أشار إليه الإمام عليّ بن أبي طـالب (عليه السلام) بقوله: (بمُضادّتهِ بينَ الأُمورِ عُرِفَ أنْ لا ضدّ له، وبمُقارنَتِهِ بينَ الأشـياء عُرِفَ أنْ لا قَرينَ له، ضادَّ النــور بالظـلمةِ، والوضـوحَ بالبُهمَةِ والجُـمودَ بالبَلَلِ، والحَـرورَ بالصَـرَدِ، مؤلّفٌ بينَ مُتعـاديـاتِها مُقارنٌ بينَ مُتــبـايناتِها مُقرّبٌ بين مُتباعداتِها مُفرّقٌ بين مُتدانياتِها).

ثالثًا: العادل

لا بدّ أن تـكون الذات الإلهيّة مُتّصفة بصفات العدل، بمعنى أنّ الله تـعالى لا يظـلم ولا يـجور على أحـد من خلـقه، ومن الأدلّة على ذلك ما يــأتي:

١- إنّما يظلم مــن هو مُحــتاج إلى الظـلم، فمثلًا لا يسرق الإنسان إلا عـندما يشعـر بالحاجة إلى ما يـسرقه، ولا يخون الأمانة إلا عندما يشعر بالحاجة للاستـحواذ عليها وهكذا، وحيث أنّ الله تعالى غــنيّ عن كلّ شيء مطلقًا، فلا يُمكن أن يــصــدر عنــه ظــلم أبـدًا.

٢- إنّ الذات الإلهيّة كاملة، لا يُمكن أن يـصدر عـنها قبيح أبدًا، فالقُبح نـقص، وكلّ ناقص يـحتاج إلى سدّ نقصه، والحاجــة خلاف الغِــنى كما ذكرنا سابـقًا، وهذا ما لا يــمكن تصوّره في الخالق سبحــانه وتــعالى، فالإله الذي يحتاج إلى غيـره لا يستحق أن يُـطلق علــيــه اسـم إلـه.

٣- إنّ الله سبحــانه وتــعالى حكيــم، لم يخــلق هــذا الكون عبثًا، وإنّما خلقه لغاية سامــية تتمثّل في تحقيق الكمال باختيار المخلوقات، ومن المخلوقات من يختار الاستقامة ومنهم من يختار الانحراف، وليس من العدل أن يتساوى المستقيم مع المنحرف، والجيّد مع السيّئ، والعدل يقتضي أن يُجازي الله المُحسن بالثواب ويجازي المسيء بالعقاب، ومن دون ذلك يضيع الهدف من إيجاد هذا الكون، ويصير ما خلقه الله تعالى عبثًا، وفعل العبث نقصٌ قبيحٌ لا يجوز أن يصدر عن الذات الإلهيّة المُنزّهة عن النقص كما ذكـرنا.

رابعًا: العليم

إنّ الله تعالى عالِم بكلّ شيء، فلا يجوز أن يغيب عنه مثقال ذرّة في السماوات والأرض، فلو افـترضنا أنّ هنالك شـيئًا غائـبًا عنه، فيعـني ذلك أنّه محجوب عنه، والمحــجوب محدود بـحدود، وقد أشرنا سابـقًا إلى أنّ الذات الإلهيّة لا يُمكن أن تكون محدودة؛ لأنّـها إذا كانت محدودة احتاجت إلى مكان يحتويها، والإله لا يمكن أن يكون محـتاجًا إلى أيّ شيء، ويستـلزم العلم المطلق لله تعالى ما يـأتي:

١- أن يـكون الله تعالى عالـمًا بالغـيب كما هو عالم بالشهادة، بمعنى أنّ علمه ليس مثل علم المخـلوقات، التي لا تعلم ما سيحدث في المستقبل؛ لأنّ الله تـعالى لا يخضع للزمان، وكلّ شيء مكـشوف أمامه وغير محجوب عنه، بل هـو الفاعل له.

٢- أنّ علم الله تــعالى ليس كــعلم المخـلوقات، فــعلمه ليس بالاكتــساب أو التـجربة؛ لأنّه لو كان يتعلّم بالاكتساب أو التجــربة فذلك يعني أنّه محــتاج للتعلّم، والله تعالى لا يُـمكن أن يكون محتــاجًا كما أشــرنا مــرارًا.

٣- أنّ علم الله تــعــالى مطلق لا مــحدود، إذ لو كان عــلمه (سبحانه وتعالى) محـدودًا لكان ذلك نــقـصًا فيــه، والله تــعالى منــزّه عن النقص كما ذكـرنا.



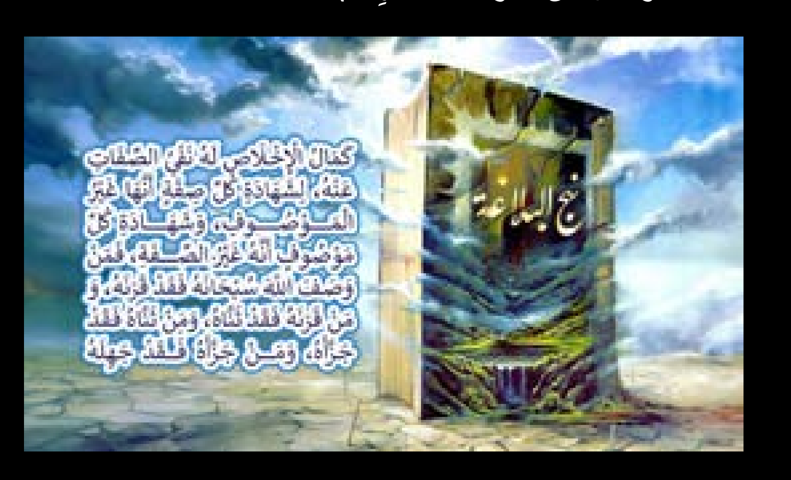
خامسًا: القادر

إنّ قدرة الله تـعالى مُـطلقـة لا مـحدودة، وهـي بالتـأكيد ليست _كقدرة المخلـوقات_ اكتسابيّةً، ويستلـــزم ذلك التوضيحات الآتية:

١- لو كانت قـدرة الذات الإلهيّة محدودة لكان ذلك نقصًا فيها، والناقص مُحتاج كما أوضحـنا مرارًا، والله سبحانه لا يمكن أن يكون مُحتاجا أبدًا.

٢- إنّ قدرة الله تعالى لا تعـني مُمارسـة الفعل مُبـاشرة، كما هو الحال عند الإنسان مثلًا، فالإنسان القادر هـو الذي يحتاج إلى السعي والحركة واستعمال الأدوات، أمّا قدرة الله تعالى فيكفي فيها قوله (كُن) فيكون ما يريد، كما قال تعالى: (إنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، علمًا أنّ العلماء بيّنوا أنّ معنى كلمة (كُن) في هذه الآية لا تعني أنّه (سبحانه وتعالى) يلفظها كما يلفظ البشر، وإنّما هي تعبـير مجازيّ يُعبّر عن قدرته المطلقة في تحقيق ما يُريد.

وأخـيراً يجب أن نُـشير إلى أنّ صفات الله سبحانه هي عين ذاته، بمعنى أنّها ليست صفات مضافة إلى الذات كما في المخلوقات، فـصـفة العـلم وصفة العدل وصفة القدرة عندما يوصف بها إنسان مثلًا فهي صفة مضافة إلى ذاته، فيكون لدينا إنسان عالم وإنسان عــادل وإنسان قادر، بحيث يمكن تصـوّر ذات الإنسان من دون صفة العلم أو صفة العدل أو صفة القدرة، أمّا صفات الله تـعالى فليسـت كذلك، بل هي كما يُعبّر الفلاسفة (عين الذات الإلهيّة) وهذا مُـقتضـى تنزيه الذات الإلهيّة عن كـونها مـركّبة إلى أجزاء كما أشرنا إلى ذلك في حديثـنا عن صفة (الغنيّ)، وذلك ما أشار إليه الإمام عليّ (عليه السلام) في نـهج البلاغة إذْ قال: (كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَـهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُـــوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَ مَنْ قَـرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَ مَنْ جَـزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ).





مصـــــــادر:

نهج البلاغة .... الشريف الرضي
توحيد المفضل .... المفضل بن عمرو الجعفي
فلسفتنا .... السيد محمد باقـر الصدر
قصة الإيمان .... نديم الـجسر
دروس في العقيدة الإسلامية .... الشيخ محمد تقي اليزدي
الفيزيائيون والخالق .... عماد عـلي الهلال
الإلهيّات... الشيخ جعفر السبحاني



الطبعة الأولى ٢٠٢٤

عن هذه الموسوعة:

هذه الموسوعة قادرة على إقناع شريحة المراهقين بأصول العقيدة الإسلامية عبر تقديم الأدلّة الواضحة بلغة سهلة، كما أنّها تستعرض أبرز الشبهات التي يطرحها الملحدون ثم تفنّدها بطريقة مختصرة، وصفحاتها مملوءة بالصور التوضيحيّة الجذّابة التي تساعد على فهم المعلومات وإثباتها في ذهن القرّاء.

هذه الموسوعة مفيدة لكلّ المراهقين والشباب في عمر ١٥ سنة فما فوق، كما أنّها مساعد فريد للآباء والمعلّمين وكلّ الراغبين في شرح البراهين على أصول العقيدة لأبنائهم وطلبتهم بطرائق ممتعة شائقة